سكان القائمة السوداء

لـ مجموعة كتاب صاعدين...

سكان القائمة السوداء

إشراف عام: آمنه سلامه أبو شماله

تدقيق: راما سمير الجيوسي

تنسيق: لجين محسن سمحان

أروقة الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022/3/1479)

819,9 **سكان القائمة السوداء/ آمنه سلامة أبو شماله...[وآخرون].-عمان: دار أروقة الفكر للنشر والتوزيع2022**

ISBN 978-9923-794-28-9 (ردمك)

دار أروقة الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
fikrdar3@gmail.com
الأردن - عمّان - وسط البلد - شارع سينما الحسين
هاتف: - 0788413775 -0785360684

المواصفات: /الأعمال الأدبية//النثر الأدبي//الشعر العربي//النصوص الأدبية// الأدب العربي/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولايعبّر هذا المصنف عن رأي دار المكتبة أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة العربية الأولى

٢٠٢٢

المقدمة

لَيْس خصاماً، لَيْس افتراقاً، أَعْرِفُك حزيناً وصامتاً، مُحَاوَلَة بَقَاء دُونَ أَنْ يَغْشَى رُؤْيَتِنَا، نَحْن بِحَاجَة للشجاعة لِحَذْف التَّفَاصِيل حَذْف الْمَاضِي حَذْف الرَّسَائِل وَالْأَصْوَات، حَذْف الْحُنَيْن، وَحَذَفَ بَعْضُ الْأَشْخَاصِ ايضاً، دُون صَدّ وإنصهار قَلْب، فَقَطْ دُونَ خَدَش وَنَدْبُه لَا تُغَادِرُ ابداً، أَعْرِف إِنَّك تَمْسَح عَنْك التَّعَب، دُونَ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ أَحَدِ شيئاً، أَعْرِفُك صامداً وَالْأَشْيَاء مِنْ حَوْلِك تتأرجح.

الباب الأول

آمنه سلامه أبو شماله

مرّحبًا رَيّان.

الكثيّر مِنْ الْأَيَّامِ انْقَضَتْ ولَم تُتح لِي فِرْصَة الْكِتَابَة لكَ.

فأصبحتُ أَضَع قَلْبِي رهانًا عَلَى طَاوَلَه الْقَصَائِد الَّتِي كَتَبَهَا غَيْرِي، وأترّقب مِنْهَا الرِّبْحِ أَوْ الْخَسَارَة، أنّ أَصْلَك أَو تَقْتُلَنَا الْمَسَافَة.

فـ أكتُبك!

لَكِنْ كَيْفَ أكتُبك بِطَرِيقِه لَا تُثِير أُنوف الفضوليين؟

لَا تُغري اللُّصُوص بِسَرِقَة تثاؤبك، وأَنْت تَمَطّ جَسَدِك عَلَى ملاءات لُغتي.

تَفَقَّد كلماتي لمعتها وتنطفئ مِثْلِي تمامًا.

أَخَاف أنّ أكتُبك فـ أَصْل لِآخَر سَطْرٌ، آخِرُ كَلِمَةٍ وآخِرِ حَرْفٍ!

أخافُ أنّ تَنْتَهِي حروفي قَبْل أنّ أَصْلَك، لِذَلِك لَن أَضَع نُقطة نِهَايَةٌ النَّصِّ بَلْ أَضَع عِدة نِقاطٌ كَي تَكُون جِسرًا يحملّك إليّ.

إنّي أخافُ عَلَيْكَ وأَصْمَت، وهَذا الصَّمْت خوفٌ أيضًا.

أتكلّم وهَذا الْكَلَامِ صمتٌ وخوفٌ أيضًا.

أكتُبك وهَذِهِ الْكِتَابَةَ خوفٌ أيضًا، أَحْرَق الرَّسَائِل أَحْرَق مَا أكتُب وهَذِه النارُ خوفٌ أيضًا.

و أخافُ أيضًا مِن خَوْفِي عليّك.

خَوْفِي عليلٌ جِدًا يَا رَيّان..

"أملكُ ايمانًا خالصًا بِأَن الله لَا يُعطي الْإِنْسَانُ إِلَّا مَا قَدْ قَدَّمَه، أَن قدمتَ خيرًا ستلقا خيرًا وَإِن قدمتَ شرًا كَذَلِك ستلقى، لستُ ملاكًا وَلَا مُنزهة عَنِ الأَخْطَاءِ، ولستُ شيطانًا أَوْ حَتَّى غارقة فِي الذُّنُوبِ، قدمتُ مِنْ هَذَا وَذَاكَ وَفِي النِّهَايَةِ مَا لاقيتُهُ كَان أَنْت.

أطلقتُ عليكَ آلَاف الْأَلْقَاب، فناديتُك بِأَوَّل ذُنُوبِي وَأَعْظَمُهَا، ناديتُك بنوري وَأَسْبَاب بَصِيرَتِي، ناديتُك بِعَزِيز فَلَا عزيزَ عَلَى قَلْبِي سِواك، ناديتُك بضنى الْقَلْب وحبيبهُ، وناديتُكَ بغصة الْقَلْب.

اعْتَرَف، لَمْ تَكُنْ لِي الْقُدْرَة لأحدد أبدًا أَن كنتَ الذَّنْبُ أَوْ الصَّوَابُ، لَا أملكُ أَدْنَى فَكَرِهَ أَنْ كُنتَ الْعِقَابِ عَلَى ذنبٍ اقترفتهُ أَو نعمةً اكْتَسَبْتَهَا بَعْد خيرٍ قدمتُه.

لَيْسَ هَذَا فَقَطْ، لنتفق أيضًا عَلَى أَنَّنِي لَا أَعْرِفُ أَيْ شَيْءٍ، لِمَاذَا اكْتُبْ هَذَا الْآنَ؟ وَمَا غَايَتِي! هَل سَأَكْتُب مِنْ جَدِيدٍ؟ لَا أَعْلَمُ أَنَّ كُنت تَعِي مَا أُكْتُب أَو تتفهمه، لَا أَعْلَمُ أَنَّ أحببتُكَ بحقٍ يومًا كَمَا تداعيتُ دَائِمًا أَوْ أَنَّ أصبحتُ لَا أُطيقكَ لِحَدّ شتمكَ ولعنكَ فِي السِّرِّ والعلن.

لَرُبَّمَا أحببتُك اعْتَقَد أنّي فعلتُ ذَلِك أحيانًا، لَكِن فلتعلم يَا عَزِيزُ إنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُحبُ مِن يُحبْ بِقَدْرِ مَا يُحب شُعُورُه بِالتَّجَرُّد مِنْ الْحَقَائِقِ، بِقَدْرِ مَا يُحب عُري الْمُظَاهِر، أَن يَنْسَلِخ الْمَرْءِ عَنْ كُل أَنْوَاع التَّرَف وَالتَّكَلُّف، أَنْ يَجِدَ شخصًا واحدًا فِي الْحَيَاةِ يُقبل عَلَيْهِ وَقَدْ اعترت الْخَطِيئَة وَجْهَهُ دُونَ خَجِل، وَمَن اللَّحْظَةِ الَّتِي تَوَقَّفت أَنْتَ عَنْ كَوْنِك ملجأً لأخطائي، وَمَن لَحْظَة إنَّنِي لَمْ أعُدْ آتيكَ مُحملة بذنوبي، لَمْ تَعُدْ حَبِيبِي يَا حَبِيبِي.

وَفِي كُلّ مرةٍ مَا كُنت اِشْتَاق إلَّا لِمَا كُنت أَنَا عَلَيْهِ مَعَك، وَمَا إنْ استطعتُ بحقٍ تَوْفِير البدائل،

لَمْ تَعُدْ أَنْتَ كَمَا كُنت لِي،

وَلَمْ أَعُدْ إنَّا كَمَا كنتُ لَك.

لِأَنَّه وَكَمَا تَعْلَم "الدنيا بتتغير وَالْإِنْسَان اللَّيّ بيضل ثَابِتٍ عَلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ مَعْنَاهَا مَا تَغَيَّرَ وَالْإِنْسَان اللَّيّ مَا تَغَيَّرَ مَعْنَاهَا مَا عاش"، وَأَنَا أُرِيد الْعَيْشَ عَلَى سجيتي أُرِيد التَّغْيِير وَأَنْت مَا كُنت سُوء عَادَة أُجبرت ضمنيًا عَلَى مُمارَسَتُها.

مِن هُنا أُعلن إنَّنِي لَمْ أَكُنْ يومًا كَمَا كَانَتْ جُمان فِي أحببتكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي فَهِي أحبَّت، وَلَم تكُن أَنْت يومًا كَمَا كَانَ عَزِيزٌ فَهُوَ وَإِنْ غدرَ لَكِنَّهُ أَحَبَّ.

وَإِنْ حَدَثَ -لا قدَّر الله- والتقينا فِي وَضح النَّهَار،

لَن تَلَمَّع عَيْنِي كَمَا كَانَتْ،

وَلَن يخفقَ قَلْبِي كَمَا كَانَ،

لَن أقضمَ أَطْرَاف أَصَابِعِي خوفًا أَن تَلْتَقِي عينانا فَابْكِي،

وَلَن أَرْجُو الله أَن تَلْتَقِي عينانا لأبكي،

لَن أَكُون كَمَا بَدوتُ - مِن قبل- ضَعِيفَةٌ أبدًا،

تنازلتُ عَن كَوْنِي أَنَا لأحتويك، لَكِن أدركتُ وَالْحَمْد لله أَنَّنَا لَمْ نُخلق ليكملَ مِنَّا الْآخَر. ".

الإهداء

إلَى الرِّجَالِ الَّذِينَ إذَا عَاهَدُوا لَم يغدروا

لِأَنَّهُم يَعْرِفُون أَن "العهد كَان مسؤولاً"

وَإِذَا أُعْطُوا ميثاقًا لَم يغدروا

لِأَنَّهُم يَعْرِفُون أنه"ميثاقًا غليظًا"

و إذَا أَخَذُوا قلبًا لَم يعبثوا

لِأَنَّهُم يَعْرِفُون إنَّ اللَّهَ أَمَرَ أَنْ نُؤَدِّيَ الْأَمَانَاتِ إلَى أَهْلِهَا.

الباب الثاني

إسلام أمين رحال

كِيان...

ميعادُ حَرْف وَأَلَّف قانونٍ وعُرف

عِمادُ حياةٍ ومبدءُ حربٍ لِما أَشَاء

كهفُ ظلمةٍ وحافّةُ جرفٍ

أَلْف عامٍ قَد مرّ وَكُلّ فُصُولِهَا شِتَاء

رحيلُ طيفٍ فصمتُ ظرفٍ

مِن الزّمان فجسدًا بَات أَشْلَاء

سكونٌ سائدٌ وغضّ طرفٍ

وعضّ فاهٍ باكيًا ندمًا ورِثاء

أنسينا السِّلم أُمِّ أَنَّ الزّمان إنْسَانًا.. ؛!

وكمْ مِن وكَمٍ يكِمُ فِينَا

وكأنّ فِينَا صخرًا وَلَيْس قلبًا لإنسانا

أَكَان الموتُ فِي الحياةِ يَأْتِينَا

واستنادًا مِن بَعْد موتنا فَأَحْيَانًا

فَمَا كَانَ رغدُ العيشِ يُغنينا

وَلَا طُعماً لإسكاتنا كَان مبتغانا

أَرَى النّور بازغًا فِي الْمَدَى ويعمينا

فوجٌ مِن الْحَاسِدِين وكلّ مَنْ عَادَانَا

وَإِن هُدّمت جدراننا وارتمينا

ألمًا...، وَقَفْنَا وَأَقَمْنَا بدلاً بِأَلْف بُنْيَانًا

وَإِن رَأَيْت مبسمك عابساً حزيناً

فَيَا ليتَ مبسمي لفاهك كانَ عِوضًا كَمَا كانَ

فتظلّ تائهًا بَيْن جُدْرَان ذاكرتك وروحك الّتي تُشْعِر كَمَا لَوْ أنّها تحتضر شيئًا فشيئًا وأنتَ الّذي ظننتَ أنّك تمتلك كلّ الثّبات بِهَذَا

الْكَوْنِ حتّى سقطتَ بهاويةٍ مِن الزّمن تَبْدُو كَمَا لَوْ أنّها خالدةً بداخلك رَغِم نفسِك الْفَانِيَة.

تنظُر لِعَقَارِب السّاعة فتعُدّ مَعَهَا... وَاحِد، اثْنَان، ثَلَاثَة.. وَتُشْعَر كأنّ كُلّ ثَانِيَة تمرّ بعمرٍ طَوِيلٌ وأمدٍ بَعِيدٌ حَتَّى تذبل عَيْنَاك وَتُشْعَر بخفقان قلبِك ونبضاته الَّتِي بَاتَت تتباطئ لِتَرَى نَفْسِك وذاتك أَمَامَك كَمَا لَوْ أنّك تَقِف مقابلًا لمرآةٍ لَا تشوبها شَائِبَة لتريك صُورَتِك الْحَقِيقِيَّة بِمَا تُحْمَلُ مِنْ عُيُوبُك الَّتِي تغضّ الطّرف عَنْهَا لتداري نَفْسِك وسوآتك، فتحاول الِالْتِفَات وفضّ كُلُّ هَذَا السَّرَاب مِنْ حَوْلِك لِتُزِيل تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي تَحْمِلُ تفاصيلك وَتُقْتَل ضميرك الّذي لطالما كَانَ فِي سباتٍ عَمِيق، إلَى أَيْنَ الطّريق والرّوح تضيقُ بألفِ حَرِيق وَحَرِيق، أَيَا نورًا فِي الْأُفُقِ لطالما اِسْتَنار بِنَا أَيْن الْغُيَّاب وَمَتَى الْإِيَاب ففيكَ نستفيق.!؟

تَعُود لوعيك لتنتفض رُوحَك وَتَنْظُر لساعتك مرّةً.

أخرى فتُدرك أنّها ما زالت بالثّانية السّابعة والّتي بها قد عُدت في الذّاكرة لعشرةِ أعوامٍ رُغم أنّك شعرت بمرور الزّمنِ بعشرٍ أخرى للأمام.

تُحِسّ بقطراتٍ من العرقِ تمرّ على جبينك وتشعر بثقل أنفاسك واختناق داخلك.

لتحاور نفسك... أنت تشعر بالوحدة والقلق رغم اكتظاظ الحاضرين من حولك فتستمع للضوضاء تملأ داخلك فتحاول اخراجها دون جدوى لتترنّح فتضرب جسدك بالحائط وكأنّ ذلك سيُفيد فتكادُ تُجنّ والألم في رأسك يزيدُ وتستزيدُ وتُعيد.

تستقِرّ في مكانكَ أرضًا لتُحكم قبضتك وتشدّها إليك واغرورقت عيناك فتختنق حتّى تجهش بالبكاء وتصرخ بكلّ ما بداخلك بكلّ ما تبقّى لك من قوّة حتّى تهدأ فجئةً وتصمت.

تحمِل جسدك المتهالك لتصلَ لغرفتك مهزومًا أمام نفسِك فاقدًا شغفك فاقدًا الأمل الّذي لطالما كنت متعلقًا ومؤمنًا فيه، فتصِلَ لسريرك فترتمي به بكلّ ثِقلك لتسرَح في سقفِ غرفتك وتشعرُ بدوران كلّ ما هو مِن حولك فتُغمضَ عينيك لتحاول نسيان كلّ شيء فتنعمَ بالرّاحة ولو قليلًا.

تغفوا وقلبك يخفِق بهدوءٍ تشعر بالإحتضار، فتغرق في نومٍ عميق فتحيرُ ما إذا كان ذلك بلجوءٍ أم هروب.

تستيقظ بعد طول عناء، تحاول فتحَ عينيك فكلّما مرّ نورٌ بسيطٌ لها أرهقتك فتقاومُ بألمٍ حتّى يتملّكك الصّمت ولا رغبة لك ببدء يومٍ جديد ولا الإستمرار ولا المحاولة مرّةً أخرة، بداخلك ألف صوتٍ وصمت بمعركتكَ الّتي كنت الخاسر بها بوسط آمالك المسلوبة وأحلامك الهرِمة.

تركت موجًا يسرقني

دون أشرعةٍ ولا مجاذيف ولا قُضبان

حيث يتلاطم الموج ويعصفني

وهدوءٌ يسكنني وأنا الرُّبّان

هيجانٌ وألف اعصارٍ يعصف بي

والعصفُ بداخلي كنسيمٍ من الرّيحان

أنا تائهٌ في عصفِ الحروفِ

وكلّ شطرٍ بات بألف ديوان

ما عجزتُ عن وصف الدواخل وإنّما

ارتسمتها أبيات شعرٍ فلا تُهان

فلا تُعان فلا تُملُّ ولا تُخان

قد أبصرت شتاءً قارصًا في داخلي

ونصفي بألف حريقٍ ودُخان

ها أنا عاجزٌ أمام إيجاد المزيد من الكلمات، أجلِس في مكاني وأُمسك بقلمي أقِف لساعاتٍ ناظرًا لسطوري الفارغة والمتعاجزة وأشعر بفراغِ كلّ ما هو من حولي ليتضائل المكَان وتتقارب الأجسام فيخترقُ لبّ مسمعي صوت عقارب السّاعة وهي تنذرني بمرور الوقتِ وصوتُ انفاسي التي بدأت تضيق فأرى طيفي يخرجُ منّي لينظُر إلي فيراني محدقًا في فراغٍ طويل سارحًا باللّاشيء وسابحًا بكلّ شيء، أترك جفن عيناي منفتحًا بقدرِ ما يسمحُ لنفسه في رخاء.

أستمِع لأمواجِ بحرٍ بداخلي وفي عالمي وقطرات المطرِ بدأت تنهمر فأسير على جانبِ رمال الشاطئ وكلّ فكرةٍ تستقِرّ بداخلي فتقتلني بكلّ أعبائي آلمًا على انطفائي وأنا الّذي لطالما استضاء بذاته وأضاء، لطالما حملتُ رسالتي وكان صوتي يبوح بها.

أرغب بالتلاشي والإختفاء، أو لربّما تكون استراحة محارب فلا أعلم كم ستطول ولكنني بحاجةٍ لها لألملِم شتاتي وأشلائي من جديد وأجمع حروفي التي باتت بحالةِ حربٍ وترتسمُ ألف بيتٍ وبيت، أيا ليت وما يفيد التّمنّي وليتَ، العَودُ سهلًا كما أتيت،

أبيت.! وما أبيتُ عن التبسّم يوماً وما رغبتُ عنه وما نويتُ، ولكلّ امرءٍ ما نوى، وبما نويتُ فروحي روَيت، وما قصصتُ سوى بضع حروفٍ بداخلي وما وفتِ الحروف لولا بشعري رويت، فما رأيتُ إذ رأيت، وأنا الّذي بكل الظّلامِ أبصرتُ نورًا بداخلي وارتأيت.

وتسألني أيّ قافٍ تبقيني مستيقظًا لوقتٍ متأخّر!

أهي قافُ القلق، القراءة، القهوة أم الأرق

أم هي قافُ الشّوقِ يا ترى؟

وما أدراكَ لعلّها تكون قاف الغرق

وضياعٌ بعدما وهبتُ قلبي لغيري وانبرى

أو لربّما قافُ قيسٍ قد أشعل نارًا واحترق

اهدى الحياة لليلاه والموت لنفسه قد اشترى

أو أنّها قافُ قلبٍ عن روحه قد افترق

وبات يتملّكه الخوف وبه قد اعترى

أشعر أنّها قافُ كلّ ما فيّ قد انسرق

أو كلّ ما سبق..! فأخبرني ماذا ترى..؟

يموتُ الجّسدُ والرّوح تبقى..، يموت الرّسول وتبقى الرّسالة أُخْرَى فتُدرك أنّها مَا زَالَتْ بالثّانية السّابعة والّتي بِهَا قَدْ عُدت فِي الذّاكرة لعشرةِ أعوامٍ رُغم أنّك شَعَرْت بِمُرُور الزّمنِ بعشرٍ أُخْرَى لِلْإِمَام.

تُحِسّ بقطراتٍ مِن العرقِ تمرّ عَلَى جَبِينُك وَتُشْعَر بِثِقَل أَنْفَاسِك واختناق داخلك.

لتحاور نَفْسِك.. أَنْت تُشْعِر بِالْوَحْدَة وَالْقَلَق رَغِم اِكْتِظَاظٌ الْحَاضِرِينَ مِنْ حَوْلِك فتستمع للضوضاء تَمْلَأ داخلك فتحاول إخْرَاجُهَا دُونِ جَدْوَى لتترنّح فَتُضْرَب جَسَدِك بِالْحَائِط وكأنّ ذَلِك سيُفيد فتكادُ تُجنّ وَالْأَلَم فِي رَأْسَك يزيدُ وتستزيدُ وتُعيد.

تستقِرّ فِي مكانكَ أرضًا لتُحكم قَبْضَتِك وتشدّها إلَيْك واغرورقت عَيْنَاك فتختنق حتّى تجهش بِالْبُكَاء وتصرخ بكلّ مَا بداخلك بكلّ مَا تبقّى لَك مِنْ قوّة حتّى تَهْدَأ فجأةً وتصمت.

تحمِل جَسَدِك المتهالك لتصلَ لغرفتك مهزومًا إمَام نفسِك فاقدًا شغفك فاقدًا الْأَمَل الّذي لطالما كُنْت متعلقًا ومؤمنًا فِيه، فتصِلَ لسريرك فترتمي بِه بكلّ ثِقلك لتسرَح فِي سقفِ غرفتك وتشعرُ بدوران كلّ مَا هُوَ مِن حَوْلِك فتُغمضَ عَيْنَيْك لتحاول نِسْيَان كلّ شَيْءٌ فتنعمَ بالرّاحة وَلَو قليلًا.

تغفوا وَقَلْبُك يخفِق بهدوءٍ تُشْعِر بالإحتضار، فتغرق فِي نومٍ عَمِيق فتحيرُ مَا إذَا كَانَ ذَلِكَ بلجوءٍ أَم هُرُوب.

تَسْتَيْقِظ بَعْدَ طُولِ عَنَاءٍ، تُحَاوِل فتحَ عَيْنَيْك فكلّما مرّ نورٌ بسيطٌ لَهَا أرهقتك فتقاومُ بألمٍ حتّى يتملّكك الصّمت وَلَا رَغْبَةٍ لَك ببدء يومٍ جَدِيدٍ وَلَا الِاسْتِمْرَار وَلَا الْمُحَاوَلَة مرّةً آخِرِه، بداخلك أَلْف صوتٍ وَصُمْت بمعركتكَ الّتي كُنْت الْخَاسِر بِهَا بِوَسَط آمَالِك الْمَسْلُوبَة وأحلامك الهرِمة.

تَرَكْت موجًا يسرقني

دُون أشرعةٍ وَلَا مجاذيف وَلَا قُضبان

حَيْث يتلاطم الْمَوْج ويعصفني

وهدوءٌ يسكنني وَأَنَا الرُّبّان

هيجانٌ وَأَلَف اعصارٍ يَعْصِف بِي

والعصفُ بداخلي كنسيمٍ مِن الرّيحان

أَنَا تائهٌ فِي عصفِ الحروفِ

وكلّ شطرٍ بَات بِأَلْف دِيوَان

مَا عجزتُ عَنْ وَصْفِ الدّوَاخِل وإنّما

ارتسمتها أَبْيَات شعرٍ فَلَا تُهان

فَلَا تُعان فَلَا تُملُّ وَلَا تُخان

قَد أَبْصَرْت شتاءً قارصًا فِي دَاخِلِيّ

وَنِصْفِي بِأَلْف حريقٍ ودُخان

إهْدَاء...

إِلَى تِلك الْأَشْلَاء واللّيلة الظَّلْمَاء وَالْأَرْض الجَرْدَاء الَّتِي تَقْبَع بداخلي، والظّلال الَّتِي تتربّص بِنَا ولكلّ الْحُرُوفِ الَّتِي ارتسمتها سِلماً وسلامًا حتّى أُنهكت تَفَاصِيلِهَا، ففتحتُ كَسْرِهَا لضمّها وشددتُ عَلَيْهَا حَتَّى أسكنتها.

لظُلمِ المفعولِ بهِ تَحْت وَطْأَه الفاعِل لِيُرْضِي الْمَفْعُولَ لِأَجْلِهِ فتارةً كَان يستتِرُ الضّمير وَأُخْرَى يغيبُ.

لحُزنِ مدمعي وَقَلْب دَالُّهَا سينًا وَصَوْت الألمِ فِي أعماقِ رُوحِي وجيمٌ تسبقها لتستقِرّ بِي، وانطوائي عَلَى ذَاتِيٌّ وواوها فاءٌ تصارعُ نورًا فِي جَوْفِ قَلْبِي.

لتكُن حروفي إفضاءً وَلَيْسَت انكساراً، فَتَكُون قوّةً بِي.

الباب الثالث

حسن زهدي فرفوره

بورترية الشَّخْصِيَّة..

"عزيز"

شَابٌّ وَسِيم حِنْطِيّ الْبَشَرَة، هَادِي الْمَلاَمِح، فِي عَامه السَّابِع والْعِشْرِينَ.

شَخْصٌ طُمُوح جدًا فِي دِرَاسَتِهِ وفَوْر تُخْرِجُهُ مِنْ الْجَامِعَة تَمّ قَبُولُه لِلْعَمَل لَدَى شَرِكَة كَبِيرَةٍ وعالَمِيَّة.

"نتالي"

فَتَاة جَمِيلَة، ذَات شَعْر مِلْكِي طَوِيلٌ، وَجَسَد رَشِيق مَمْشُوق ومُتَناسِق، ذَات عُيُون عسلية ناعسة، فَتَاة غَرِيبَةٌ الْأَطْوَار، فوضاوية، اِجْتِمَاعِيَّةٌ، كَثِيرَةٌ العَلاَقَات (العلاقات بشتى أنواعها) لَكِن عائلتها الشيئ الْأَوَّلُ فِي حَيَاتِهَا فَهِي تَقَدَّس العَائِلَة كثيرًا. لَيْس لَدَيْهَا أَي طُمُوح أَوْ هَوَاية وَتَمّ توظيفها بِنَفْس الشَّرِكَة الَّتِي يُعْمَلُ بِهَا عَزِيزٌ عَنْ طَرِيقِ الْوَاسِطَة.

"لم أَكُن اعْلَمْ أَنَّ الْحُبَّ يَنْقَلِب فَجْأَة لـ لَعْنَة.. وَلَمْ أَكُنْ اعْلَمْ أَنَّ نتالي سَتَكُون بِهَذِه الْقَسْوَة يومًا.. وَلَمْ أَكُنْ اعْلَمْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَمارَس هوايتها الْمُفَضّلَة عِنْدَمَا تأخد مِنَّا كُلَّ مَا نُحِبُّ.. الْحَيَاةِ غَيْرُ عَادِلَةٍ.. غَيْرُ عَادِلَةٍ أبدًا، لَيْتَنِي لَمْ أَعْمَلْ فِي تِلْكَ الشَّرِكَة اللعينة، لَيْتَنِي لَمْ أَعْرِفْ نتالي، لَيْت الْمَقَاهِي كُلُّهَا أُغلقت قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِيَ "

(هذا آخِرِ مَا قَالَهُ عَزِيزٌ فِي أَوَّلِ جِلْسَة لِلْعِلاج النفسي).

_عزيز: صَبَاحِ الْخَيْرِ يَا عَزِيزَةٌ عَزِيزٌ.. مَرَّت أَرْبَع أَشْهُرٍ مِنْ الْحَبِّ وأَتَى الْمَوْعِد الْأَحَب لِقَلْبِي.. يَوْم لقياكِ عزيزتي.. أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونِي فِي أَفْضَلِ أحوالكِ.. موعدنا كَمَا اتَّفَقْنَا فِي الْمَقْهَى الْمُقَابِل لدكان الشَّرِكَة السَّاعَةِ العاشِرَةِ إلَّا عُشْرُ دَقائِقَ..

نتالي: صَبَاح الْيَاسَمِين يَا عَزِيزُ قَلْبِي وحُبّ حَيَاتِي الْأَبَدِيّ.. طَالَمَا أَنْتَ فِي حَيَاتِي سَأَكُون بـ أَفْضَل أَحْوَالِي.. امْنَحْنِي بَعْضُ الْوَقْتِ وسَأَكُون عَلَى الْمَوْعِد إنْ شَاءَ اللَّهُ

"كان مِنْ أَفْضَلِ الأَيَّامِ فِي حَيَاتِي.. اسْتَمَرّ لِقَائِنَا سِتُّ سَاعَاتٍ! تُحَدِّثُنَا وتُحَدِّثُنَا وسَرَقْنَا الْحَدِيث ولَم نَشْعُر بـ أَنَّ الْوَقْتَ يَجْرِي!.. اللَّهُمّ نتالي وحُبّ نتالي للأبد"

عَزِيزٌ.

"لم أَكُن أَعْلَم إنَّنِي فِي يَوْمِ مَا سَأَكُون مَغْرَم بفتاة مِثْلَمَا أَنَا مَغْرَم الْيَوْم بنتالي"

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ الْحَبِّ الْكَبِيرِ بَيْنَ نتالي وعَزِيزٌ إلَّا أَنْ نتالي كَانَت دائمًا تكرر "أنا إنْسَانَةٌ سَيِّئَة، غَيْر سَوِيَّة، أخطائي كَثِيرَةٌ وعُيُوبِي تُغَطِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي شخصيتي وسَيِّئَاتِي أَكْثَرَ مِنْ ايجابياتي"

لَكِن عَزِيزٌ فِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَذْكُرُهَا أَنَّهُ مَعَهَا وسَيَبْقَى مَعَهَا وسَيَكُون حَبَّة دائمًا كَفِيلٌ بِأَنْ يَجْعَلَهَا إنْسَانَةٌ صَالَحَه دائمًا....

"مهند"

شَابٌّ وَسِيم (أَكْثَر وَسَامَةٍ مِنْ عَزِيزٌ وأَكْثَر ثراءً ونفوذًا)

كَمَا يُقَالُ بالعامية (دلوع بَابا وماما)

يَعِيش بِنُقُود وَالِدِه ولَا يُعْرَفُ مَعْنَى الْعَمَل والطُّمُوح والِاجْتِهَاد.. يَعْبَث بِقُلُوب الْفَتَيَات ثُمّ يرميهن كَأَنَّهُنّ سِلْعَة رَخِيصَة...

_نتالي: هُنَاك شَابٌّ يلاحقني بِهَدَف التَّعَارُف.. اسْمُه مُهَنَّد وكُلُّ مَا أَقُومُ بِحَظْرِه يُعَاوِد إرْسَال الرَّسَائِل لِي.

_عزيز: لَا بَأْسَ يَا عزيزتي إنَّهُ شَخْصٌ طَائِش كَغَيْرِهِ مِنْ الشَّبَابِ.. لَا تُبَالِي لَهُ ولَا تُعْطِيهِ قِيمَة.

وَمَرَّت الْأَيَّام.. وبَدَأَت نتالي بِالتَّغَيُّر عَلَى عَزِيزٌ..

"اليوم المشؤوم"

الشَّهْرِ الْأَخِيرِ مِنْ السُّنَّةِ وفِي الْأَوَّلِ مِنْ دِيسَمْبِر حَصَلَت الكَارِثَة..

نتالي: عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نتقابل حالًا

عَزِيزٌ: حسنًا عزيزتي.. سأنتظرك فِي مقهانا

بَعْد ١٥ دَقِيقَةٌ..

نتالي: أهلًا عَزِيزٌ.. وَدِدْت إخْبَارِك إنَّنِي متاحة ودائمًا ويُوجَد لَدَيّ الْكَثِيرِ مِنْ الْوَقْتِ لَكِنَّنِي "حقيرة "ولا أُرِيدُ أَنْ أَرَى وَجْهَك الْبَائِس بَعْدَ الْيَوْمِ

عَزِيزٌ: مَا بكِ يَا عزيزتي؟؟ لَم أنتِ غاضبه هَكَذَا؟؟

نتالي: مَلِلْت مِنْك.. أَصْبَحْت كَالْأَطْفَال.. تَصِر عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وتريدني أَن اِنْصاع إلَى اوامرك بِهَذِهِ السُّهُولَةِ؟

أَنَا أُكْرِهْك وَلَم اِشْتَاق لَك لِأَنَّنِي حقوده، لَا تُرْسِلْ لِي الرَّسَائِل وَلَا تُكَلِّمُنِي وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى وَجْهَك بَعْدَ الْيَوْمِ!

صُدم عَزِيز لِهَوْل مَا سَمِعَ.. أُصِيب بِحَالَة اكْتِئَاب شَدِيدٌ أُطُر بَعْدَهَا لـ أَخَذ جِلْسَات عِلَاج نَفْسِي..

أَمَّا نتالي فَكَانَتْ فِي تِلْكَ الْفَتْرَة تَعِيش أَفْضَلِ أَيَّامِ حَيَاتِهَا..

عَزِيزٌ الْيَوْم: شَابٌّ بِوَجْه أَصْفَر شَاحِب ذُو مَلامِح حَزِينَةٌ.. نَزَل وَزْنُه كَمَا أَصْبَحَ بِلَا رُوحٍ وَلَا حَيَاةَ...

فِي يَوْمِ مِنْ الْأَيَّامِ شَعْر عَزِيزٌ بِالْمَلَل فِي وَقْتِ عَمَلِهِ وقَرَّرَ أَنَّ يَأْخُذَ اسْتِرَاحَة سَاعِيه لَكَيْ يَشْرَبَ القَهْوَةَ فِي الْمَقْهَى الْمُجَاوِر لِلشَّرِكَة..

هُنَا كَانَتْ الصَّدْمَة.. شَاهِدٌ نتالي.. نَعَم نتالي جَالَسَهُ فِي الْمَقْهَى مَع الشَّابّ الَّذِي كَانَتْ تنعته دَائِمًا بالتافه والْمُغَفَّل "مهند" تحتسي القَهْوَة وصَوْت ضحكتها يَمْلَأ الْمَكَان..

صَدَم عَزِيزٌ لِهَوْل الْمَوْقِف وبشاعته

غَادِر والْحُزْن يَكَاد يَقْتُلُه.. شَعْر بِطَعْنَة كَبِيرَة وَجِهَتُهَا لَه نتالي..

وَانْتَكَس مَرَّةً أُخْرَى... أَصْبَح يُرَاجَع عِيَادَة الطَّبِيب النَّفْسِيّ بِاسْتِمْرَار..

بَعْدَ مُرُورِ عَامٍ عَلَى الْحَادِثَةِ..

ذَهَب عزبز للمقهى كَعَادَتِه وكَانَت نتالي هُنَاك.. إلَّا أَنَّهَا كَانَتْ فِي حَالَةِ يُرْثَى لَها.. الْحُزْن وَاضِحٌ فِي عَيْنَاهَا العسليتان.. أَشْفَق عَزِيزٌ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا هِيَ مِنْ كَانَتْ السَّبَبُ فِي كُلِّ مَا وَصَلَتْ لَهُ.

أَمَّا عَزِيزٌ.. فَقَدْ أَصْبَحَ فِي حَالَةِ جَيِّدَة.. تَرْقَى فِي الشَّرِكَةِ وأَصْبَح مُدِير وزَاد رَاتِبَة وأَصْبَحْت حَيَاتِه مَلِيئَة بالإنجازات...

الإهداء

أُهْدِي نجاحي فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى والداي، الداعم الْأَوَّل وَالْأَكْبَر فِي حَيَاتِي..

وإِلَى إِخْوَتِي وَسِنْدِيٌّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةَ..

النِّهَايَة.

الباب الرابع

حمزة العواملة

و مَا أجملَ الليلُ فِي وَحْدَتِي
و أَنَا جالِسٌ لوحدي بغرفتي
أُغمضُ عَيْنَاي وأتخيلُ
مَا أُجْمِلَ الهدوءَ بصفنتي
أرسمُ أَحْلاَمِي وكَأَنَّنِي
أَحْتَسِي الخمرَ فِي سهرتي
أرسمُ طموحاتي وأمالي
أتفائلُ كَي أَغْفَى عَلَى وِسَادَتِي
أودُ أَن اذهبَ وأرحلَ
أودُ أَن أبتعدَ عَن دُنيتي
لَم إيَاسٍ مِنْ الدُنيا وَإِنَّمَا
مللتُ حُزني وتنهيدتي
مللتُ مِنْ نَفْسِي وأزيدكُم
مللتُ حَتَّى قَلْبِي وحنيتي
أودُ أَن أخرُجُ مِن كُل شَيْءٌ
أودُ أَن أخرجُ مِن ضجتي
أُحبُ أَن أجلِسَ لوحدي لِأَنَّنِي
لَا أُحبُ أَن أُظهِراَ دمعتي
وأُحب أَن أنظرَ لِلسَّمَاء
وَأَنَا أَحْتَسِي بهدوءٍ قهوتي

أَوَاسِي نَفْسِي بِنَفْسِي لِأَنَّنِي
لَم أجدُ مِن يُطفى حُرقتي
أنتظِرُ بالعتمت نورٌ
و أنتظرُ مِن اللهِ سعادتي.

فِي هذهِ الدُنيا نُلامُ
عَلَى حُلمٍ فِي المنامُ
حَتَّى مشاعِرُنا نُخفيها
وَقَدْ أَصْبَحْتَ ك الحطامُ
حَتَّى عَلَى كثرةِ النومِ
لَا يُريدوننا أَن ننامُ
مَا ذَنْبِي أَن كنتُ مُتعبً
هَل التعبُ يجلبُ الخصامُ
أصبحتُ لَا اعلمُ مَنْ أَنَا
وَلَا أتذكرُ تِلك الأحلامُ
ذَهَبَت طموحاتي كُلها
وَمَا عَلَى الدُنيا إلَّا السلامُ.

اعْتَدَّت عَلَى الصُّدَاع، اعْتَدَّت عَلَيْه يزورني فِي غَالِبِ أَيَّامِي عَلَى هَيْئَةِ صُدَاع نِصْفَي، يَكَاد رَأْسِي أَنْ يَنْفَجِرَ مِنْ كَثْرَةِ التَّفْكِير، يَقُولُونَ لِي لَا تُفكر، لَكِن حقاً أَنَّا لَا أَعْلَمُ كَيْفَ لَا أَفْعَلُ هَذَا كَيْفَ لَا أُفَكِّر، كَيْف أَوْقَف عَقْلِيٌّ عَن التَّفْكِير هَذَا الشيئ خَارِجٌ عَنْ سيطرتي لَا أَسْتَطِيعُ فَعَلَ ذَلِكَ حقاً حَاوَلَت فَعَلَ ذَلِكَ لاكن لاجدوى أَتَمَنَّى أَنْ أَفْعَلُهَا، اجْلِس لوحدي لَسَاعَاتٌ طَوِيلَة، اجْلِس بمفردي منعزلاً أَنْوِي النَّوْم وَأَكُون متعباً، انْتَظَر مِنْهَا رِسَالَةٌ لِكَي أَوْدَعَهَا وَأَنَام، تَتَأَخَّر ك الْعَادَة، تَأْتِي أَتَحَدّثُ مَعَهَا قليلاً، ثُمّ أَوْدَعَهَا لِكَي نَنَام، وَلَكِنْ أَيْنَ النَّوْم؟!

أُطْفِئ الْهَاتِف وَاضِعِه جَانِبَي، وَعِنْدَهَا تَبْدَأ تِلْك الْأَفْكَار اللعينه تَأْتِيَنِي، وَأَجْلَس لوحدي اصارع افكاري واحاول أَنْ أَنَامَ لَكِنْ دُونَ جَدْوَى، اجْلِس واشعل سيجارتي وَأَمْسَك هاتِفِي لِبَعْض الْوَقْت، لِعَلِيّ عِنْدَمَا أَمْسَكَه أَتْعَب أَكْثَر واستطيع النَّوْم، هَا أَنَا جَالِسٌ أَدْخَن واقلب صورك وَأَتَذَكّر صَوْتَك وضحكتك، وَبَعْدَهَا أَتَذْكُر إنَّنِي مستاءٌ مِنْك قليلاً، الصُّدَاع... يَزْدَاد أَكْثَر فَأَكْثَرَ لَا أُريد أَنْ أَرَى ضوءاً أَو أَسْمَع صوتاً ً أَوْ حَتَّى أَشَم أَيْ رَائِحَةَ فَكُلُّ ذَلِكَ يُؤَثِّرُ بِي وَيَزِيدَ مِنْ صُداعِي النصفي، شَفَتَاي بدأت بالتخدر، حَلْقِي نَشَف وَكَانَ لِي أَيَّامٍ لَمْ أَشْرَبْ الْمَاءَ، اطرافي جَمِيعِهَا تتخدر، أُغْمِض عَيْنَاي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ افتحهما مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، أَشْعَر وَكَان شرايين رَأْسِي

تَتَفَجَّر، اغطي رَأْسِي كاملاً وَأَبَدًا الْأَنِين، أَتَمَنَّى أَنْ يَنْفَجِرَ رَأْسِي وانتهي، أَضْرِب بِرَأْسِي مِنَ شِدَّةِ الْأَلَمِ، المُسكنات لاتفيد، لَقَد تَنَاوَلَت شريطا كاملاً بِدُون اثْت فَائِدَةٌ، بَعْدَ عِدَّةِ سَاعَاتٍ مِنْ الْأَلَمِ، أَنَام بِدُونِ أَنْ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ، وَكَأَنَّه أُغْمِى عَلَيَّ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ الَّذِي مَرَرْت بِهِ، اسْتَيْقَظَ بَعْدَ عِدَّةِ سَاعَات فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ يَكُون آآآلم قَد خُفّ قليلاً وَلَكِنَّنِي مُتعب وكأنني كُنْت احْفِر طَوَالَ اللَّيْلِ، وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ اسْتَيْقَظ ايضاً مِنْ شِدَّةِ آآلم، وَأُعِيد مُعاناتي، يَا إِلَهِي أَنْقَذَنِي خَفَّف عَلَيَّ مِنْ هَذَا الْأَلَم لَمْ أعُدْ أَسْتَطِيع التَّحَمُّل، فَرْوَة رَأْسِي أَصْبَحْت تؤلمني مِن ضَرْبِي لَهَا، يَا إِلَهِي سَاعَدَنِي، لَوْ أَنَّ هُنَاكَ شخصاً بجنابي بِهَذِه الْأَوْقَات سَوْف أُوَافِقُ عَلَى أَنَّ أَجْعَلَهُ يَفْصِل رَأْسِي عَن جَسَدِي وَسَوْف أَوْقَع لَه وابصم لَه بِأَصَابِعِي الْعَشَرَة بموافقتي عَلَى هَذَا فَقَطْ لِكَي يَنْتَهِي هَذَا الْأَلَم... وَهَل يُنْتَهَى إذ فَعَلْتهَا؟!

لَا أَعْلَمُ....

رسمتُ أَحْلاَمِي منذُ الصِّغَر رسمتها وَأَنَا مَازِلْت طفلاً، فِي كُل مَرَّة أجدُ صعوبات واتجاوزها، فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَجِدْ مَنْ هُمْ حَوْلِي يبتعدون عَنِّي، أَجِد الصِّدِّيق وَالْحَبِيب وَالْقَرِيب ذَهَبَ عَنِّي، كُلَّمَا أَحْبَبْت أَحَدُهُم وَتَعَلَّقَتْ بِهِ تَرَكَنِي لوحدي وَذَهَب ليجعلني اتعذب بِنَار الْفِرَاق، وكأنني احضن الْجَمْرِ عِنْدَ نَوْمِي، مَا السَّبَبُ وَرَاء تَرْكِهِم لِي جميعاً؟!

ضَنِنْت مِثْلُكُم أَنَّه الْخَطَأ مِنِّي، لَكِنَّهُم جميعاً أَكَّدُوا لِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي حَتَّى الَّذِين قابلتهم مِنْ بَعْدِهِمْ، م السَّبَب أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ، هَل يُعْقَلَ أَنَّ حِبِّي الْمُفْرِط كَانَ سَبَبُ كُلِّ الّذِي حَصَلَ لِي؟! أَم أَنَّهَا غيرتي الشَّدِيدَة!؟

لَمْ يَعُدْ يهمني أَن اعرف...

الَّذِي أَعْرِفُهُ إنَّنِي أُخْلِصَت فِي حِبِّي لَهُمْ وَلَمْ أَتْرُكْ احداً مِنْهُم ابداً... وَأَعْرَف ايضاً أَنَّهُم تركونني لِأَسْبَاب تَافِهَة واحداً مِنْهَا كَانَ (نفسيتي المتعبة) أَوَلَيْس الْحَبِيب هُوَ الَّذِي يفرحك أَلَيْس الْحَبّ هُو الْأَمَان وَالسَّعَادَة؟!

أَصْبَحْت أَخَافُ مِنْ الْحَبِّ أَصْبَحْت أَخَافُ مِنْ أَنَّ أُحب أَوْ حَتَّى إنَّهُ لَمْ أعُدْ أَعْرِف إنْ أَحَبَّ.

أَنَّه شُعُور جَمِيل جداً أَوَدّ أَن أَجْرِبَة مَرَّةً أُخْرَى وكثيراً لَكِنْ مِنْ دُونِ فِرَاق أُرِيدُ أَنْ نبقى مَع بَعْضُنَا إِلَى الأبَدِ.

لَا أظن أَنَّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ أَوْ أَرَاهُ مُسْتَحِيلٌ مِثْلَ مَا قَالَتْ لِي أُمِّي (مَا يملىء عَيْنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التراب).

تَغَيَّرَت كثيراً ذَهَبَت طموحاتي لَمْ أعُدْ أُرِيد شيئًا أَصْبَحْت أُرِيدُ أَنْ اغطَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ فَقَط، أُرِيدُ أَنْ لَا أُفَكِّر بِشَيْء، طموحي بِأَن أَكْمَل الماجستير وَبَعْدَهَا الدُّكْتوراه ذَهَبَ لَمْ أعُدْ أُفَكِّر فِيه، اسألوني مَا أُجْمِلَ حَبَّ فِي حَيَاتِك؟!

سأجاوبكم هُو حُبّ أُمِّي فَهِي دائماً مَعِي لَم تتركني طُولِ الطَّرِيقِ لَمْ تَخْذُلْنِي مِثْل الْبَقِيَّة وَقَلْبِهَا طَيَّب جداً عِنْدَمَا كُنْتُ أُمَرِّضُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مَعِي غَيْرِهَا لَمْ أَرَى إلّا هَيَّأ بِجَانِبِي، وَعِنْدَمَا أَكُون بِضِيقِه هِيَ الَّتِي تَهُون عَلِيّ، هِيَ الَّتِي تَبْكِي عَلَى حُزْنِي وَهِيَ الَّتِي تَفْرَح لفرحي، أَمَّا أَنْتُمْ همه فَلَا أَحَدَ يَهْتَمّ بِامْرِئ، مِن مِنْكُم يَسْأَلُنِي عَنْ طَعَامِي؟! وَمَن مِنْكُم يَسْأَلُنِي عَنْ نَوْمِي؟! وَمَن مِنْكُم يَهْتَمّ لصحتي؟! لَا أَحَدَ فَقَطْ هَيَّأ جميعكم كاذبون لَا أَحَدَ يَشْتاق لِي لَوْ أَنَّكُمْ تشتاقون لآتيتم لِي، فليبتعد عَنِّي الْجَمِيعِ لَمْ أعُدْ اِهْتَمّ لَكُم، اذْهَبُوا عَنِّي ولتبقى امي ...

وَحِيدٌ ك اللَّيْل، اعانق الْجَمْر، يغطيني اللَّهَب، اصارع افكاري، اتحدى مخاوفي، اتجاوز صعوباتي، احدد اهدافي، أرسم طموحاتي الْمُسْتَحِيلَة، كُلُّ هَذَا لوحدي، فَلَقَد تُرِكَتْ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ لوحدي، لَا يُوجَدُ أَحَدُ ليفهمني، أَنَا الْوَحِيد الْبَائِس الْقَوِيّ، أَنَا قَوِيٌّ كِفَايَة لَأَقُول إنَّنِي لَا أَخَافُ شيئً، فَقَد جردوني مِنْ كُلِّ شَيّ، لَمْ يَعُدْ لَدَيّ قَلْب لَأَخَاف شيئ، لَمْ يَعُدْ لَدَيّ أَحَدٌ ل أُلْجِئَ إلَيْهِ فَأَصْبَحَت أُلْجِئ لِنَفْسِي واحتضن نَفْسِي وأواسي نَفْسِي، أُكْتُب الْكَلِمَات بقلمي، واعتصرها مِنْ قَلْبِي، واتخيلها فِي عَقْلِيٌّ، وَكُلُّ مَا تخيلتها تَأَلَّمَت، أَتَأَلَّم مِن ذكرياتي الْقَاسِيَة الَّتِي صنعوها لِي، شوهوا مخيلتي فَلَم أَعَدّ أتَخَيَّل إلَّا اآالم وَالْإِحْبَاط والْقَسْوَة، جَعَلُونِي شَخْصٌ لَا أَحَدَ يَفْهَمُه، جَعَلُونِي اعْتَاد عَلَى الْخِذْلَان وَعَلَى الْفِرَاق وَعَلَى كَسْر الْقَلْب، قلب...؟ عَنْ أَيّ قَلْبٌ أَتَحَدّث لَمْ يَعُدْ هُنَاك قَلْب، لَم يَتَبَقَّى لِي سِوَى عُضْلَةٌ لِكَي تَضُخّ الدَّمُ فِي عروقي وشرايني لِكَي تُوَصِّلُه لِبَاقِي جَسَدِي بِلَا أَيْ مَعْنَى أَوْ فَائِدَةٌ، لَقَد حطمو ذَلِك الْقَلْبُ الَّذِي كَانَ يَخْشَى عَلَيْهِم، حطموه بخذلانهم وبقسوتهم عَلِيّ، ذهبو وَتَرَكُوا بَقَايَا قَلْبِي مُتَنَاثِرَة لايمكن لِأَحَدٍ أَنْ يَجْمَعَهَا وَيُعِيدُهَا كَمَا كَانَتْ، تركوني وَأَنَا بِأَمْس الْحَاجَة إلَيْهِم، تركوني فِي عِزّ الْأُمِّيّ وزادوها الماً، تركوني وَأَنَا اصرخ لَهُمْ لَا تتركوني واستنجد بِهِم، تركوني غارقاً فِي أحْزَانِي وَهُمُومِي الَّتِي لاتَنْتَهِي، أَصْبَحْت أَرَى الكوابيس بِسَبَبِهِم، وَبَعْد مُده يَعُودُون ويسئلون عَنْ حَالِي وَكَأَنَّهُمْ

لَمْ يفعلو شَيْءٌ، لِمَاذَا عدتم؟! أَلَم يَكْفِيكُم كَسْر قَلْبِي وتحطيم فُؤَادِي مَاذَا تُرِيدُونَ؟! اتودون الْعَوْدَة؟ ههه لَا يَا أحبتي فَأَنَا أَتَعَلَّم بِسُرْعَة أَنْتُم تَرَكْتُمُونِي لِأَسْبَاب تَافِهَة إِلَّا تُذكرون.. فَكَيْفَ لِي أَنْ أَثِق بِكُم مَرَّةً أُخْرَى؟! لَقَد كسرتم ثِقَتِي لِدَرَجَة إِنَّنِي لَمْ أعُدْ أَثِق بِأَحَدٍ مِنْ بَعْدَكُمْ، لَقَد جعلتموني لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحَبَّ شَخْصٌ آخَرَ، كَيْف لَكُمْ أَنْ تسئلوا عَنْ حَالِي بَعْدَ كُلِّ الّذِي فَعَلْتُمُوه مَعِي!؟ هَل اشتقتم أَم نَسِيتُم؟!

لَا يهمني الْجَوَابِ مَا يهمني الْآن إِنَّنِي لَا أُرِيدُ عَوَّدْت أَحَدٌ مِنْكُمْ، أَفْضَلُ إِنْ أَبْقَى وحيدًا بأسًا عَلَى أَنَّ أُعَوِّدَ لاوجاعكم...

ولا كأنني كنتُ مُحباً لهُ
ولا كنتُ أحبُ من قبلهُ
عُميت عيناي من نظرةٍ
وأصبحتُ المُحبَ الابلهُ
قطعتُ كُل دروبَ الهوى
وتعلقتُ جداً بنار سبُلهُ
وأصبحَ قلبي يتمايلُ
على صوت قرعَ طبلهُ
احببتُه بكُلِ العيوبِ
حتى في سيئاتهِ اتقبلهُ

سريتُ في الدرب الاسودَ
وانا مسرورٌ كالابلهُ
شعرتُ بأنني ملكٌ
وحارسهُ الذي اغتالهُ

سوفَ تَمْرٍ عَلَى الْجَمِيعِ فَتَرَات يَكُونُوا بِمُفْرَدِهِم، تَرْكِهِم جَمِيعُ مَنْ حَوْلِهِمْ، لَم يَبْقَى لَهُمْ أَحَدٌ ليستندوا عَلَيْه، هَذِهِ الْفَتْرَةِ سوفَ تَكُون جِدًّا عَصِيبَة سوفَ تَمْر ببطئ، سَوْف تُشْعِر أَنَّكَ غَيْرُ مَرْغُوبٍ مِنْ الْجَمِيعِ، سوفَ تُشْعِر إِنَّكَ ذُو ثَقُلَ عَلَى الْجَمِيعِ، لِهَذَا سَوْف تَرْحَل أَنْت ايضاً عَنِ القِلَّةِ الّذِينَ بَقُوا مَعَك، لَا تَيْأَسُ فِي وَقْتِهَا، فَلْتَكُن صلباً، فَلْتَكُن ذَلِكَ الْجَبَلِ الّذِي لَا يُهز وَلَا يَهْزِم. فَلْتَكُن قوياً، لَا تَجْعَلْ شَيْءٌ يُؤَثِّرُ عَلَيْك، فلتكمل هَذِهِ الْفَتْرَةِ بِكُلّ سَلاسَة.

لَكِنْ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ سَوْف تَجِد شَخْصٍ كَانَ مَعَك وَقَف جانبك حَتَّى لَوْ كَانَ بِالْكَلَام الْجَيّد، هَذَا الشَّخْصِ لَا يُعَوّضُ، لَا أَتَكَلَّمُ عَنْ الْحُبِّ، رُبَّمَا يَكُونُ آخْ لَمْ تَلِدْهُ أُمك، وَرُبَّمَا يَكُونُ شَخْصٌ مَعْرِفَتِك بِه سَطْحِيَّة، لَا تُفرط بِهَذَا الشَّخْصِ مَهْمَا كَانَتْ الظُّرُوف، سَوْف تُشْعِر نَفْسِك ثَقِيلٌ عَلَيْه، وَلَكِن بِنَفْس الْوَقْتِ لَا تُريده أَنْ يَرْحَلَ، لِأَنَّه الشَّخْص الْوَحِيد الَّذِي يَقِفُ بِجَانِبِك، سوفَ يطمئنك إِنَّكَ لَسْتَ ثقيلًا عَلَيْه وَإِنَّك مُرحب بِك فِي أَيّ وَقْتَ، فِي وَقْتِهَا ستفعل

أَشْيَاء لَن تُشْعِر بِهَا وَرُبَّمَا تَصَرُّفَات تُغضبه، فلتعتذر مِنْهُ لِأَنَّ هَذَا الشَّخْصِ لَا يُعَوِّضُ وَلَنْ تَجِدَ لَهُ بُدَيْل، لِأَنَّهُ لَا مَصْلَحَةَ لَهُ عِنْدَك، وَلَا يُريد مِنْك شَيْءٌ، كُل مايُريده رُؤْيَتِك سعيداً، ونادراً أَنْ تَجِدَ شَخْصٌ كهذا...

لَك يَا مَنْ كُنْتُ مَعِي فِي هَذَا اليوم....

فلتتركوني لوحدي ولترحلو
فبوجودكم اشعرتموني بالحرمانِ
لا أُحبُ المجامله ولكنني
أحبُ صادقَ المشاعرِ الاناني
الكئابةُ في كل يومٍ تُرافقُني
جعلتموني للتعاستي عنوانِ
دمرتم طموحاتي واحلامي
فأصبح عندي مكانٌ للشيطانِ
كسرتم مجاديفَ امالي
وحطمتُم جميع فروعَ اغصاني
اصبحتُ الوحيدَ الضائعُ
لا اعلمُ من اين انا من اي الاوطانِ
ابحثُ عن نفسي ولكنني
لم اشعر مع احدٍ بالامانِ

ماذنبي انا ماذا فعلتُ لكم
حتى تجعلوني ادفع جميعَ الاثمانِ
الم تقرأوا قليلا من القرانِ
هل جزاءُ الاحسان إلا الاحسانِ
فبماذا انا البئيسَ اذيتُكم
هل هذا هو جزاءُ إحسانِ
اقتلعتم مني حميع مشاعري
اصبحتُ لا اعلم من ما اعاني
أُعد الليالِيَ وانا ساهِرٌ
أُعدُ كل ثانيةٍ بالفٍ من الثوانِ

الإهداء

الى أولئك الذين خانتهم الدُنيا
إلى أولئك الذين حاربوا من اجل البقاء
الى أولئك الذين أرهقتهم عقولهم من التفكير
أنتم الانقى
أنتم الاقوى والارقى
عيشوا كما يحلو لكم واينما يحلو لكم ولا تُبالوا
ولا تجعلوا قلوبكم تقسى من قسوة الحياه عليكم
فأنتم من القلة الباقين في هذه الدنيا
فلتبقوا كما أنتم فلتقاوموا الخيانات الصعبة
فالخيانة من طبع البشر
لا نُريد أن نخسر قلب احدكم من أجل أفةٍ من البشر لا يستحقون القليل من المشاعر الصادق.
أحبُ أنفُسكم...

الباب الخامس

دانا درباس

رُباه!

أَسعفني، فَصمتي يَنهَشُو بي

وللإضطرابِ مَنزلٌ كبيرٌ لَا أقدِر هَجره

أسعفي، تكادُ الغابات لتُشَيّدَ أغصانِها فوقي

وإنّي أخافُ الظُلمة

وَأَعُوذ بِكَ مِن حروفٍ تُغرّزَ بِفراغي

فَتبدي مِنهُ مَا يَنزفُ قَلْبِي

رُبّـــاه!

أسعفني

أُتِي إليكَ لِأنثُر دَمْعِي

فَكيف القولُ أنسى

أُعاودُ بكائي لعلّي بِنفسي لَمُنجيةٌ

وهَل بغير اللّه أَنْجُو؟!

أعيشُ لحظةً بلحظاتِها

وكُلّ ثانيةٍ تأخُذ منّي

وكأنّني كامِلةُ الأعضاء

أَلا تَشتبِهُ حُزني؟!

إلَّا تَذكُر أنّها قَد تَربّعتْ مِنْ قَبل؟!

ألّا تَقوى نَفسي عليّ

ألّا تُحرقْ زهرتي ويَختفي عَبيرها

فَما كانَ صُنعها سهلٌ

ولَن يَكُون

يـ طائِرًا حَلّقت عَن نافِذتي مُنذ أيّام

ألَم تلقى الجناح؟!

متى سَتأتي بِه فَقد عَلِمتَ لِما عَلتْ القهقهات

لِتأتي ولتَرى تفاصيل عينيّ

فَـ قَد تعدّت وَعَوْدِي لَهَا

وبَكتْ

قَد خانت سَعدِها وبُطبِطت سهرًا بِدمعها

كُلما تَناسيتُها قالَ أَحَدُهُم

عيناكِ باحتْ كثيرًا عَن فمِك

فَ قَوْلَي

وَمَا قَوْلَي بقولٍ لأقوله

هُو حِسّ لَا أكادُ أُطيق عَدَم فِهمه

فَ لَا أبتعِدُ فَ أُطيق

وَلَا أقتربُ فَ أُطاق..

أَأْصدَعُ لِأمريّ السَّفِيه!

وأُعانِقُ مَرْبَعًا مُلِّمًا بِالزّخارِف المُلَفّقة!

إنْ تَضاربْتُ وهَرولتُ إرضاءً لِعواطِفي المُكدّسَه، سَتُغَرّمني مَا لَا أملكُ قُوَّة، لذلِكَ أُجالِسُ سَرِيرِي، معانِقةً لِقهوتي، مُثقلةً بِكلامٍ يَقوى عليّ، يراني جسدًا باهِتًا فِي ظُلمةِ الثّانيةِ بَعْد منصفِ اللَّيْل.

• الثّانية بعدَ منتصفِ اللَّيْل:

أفقتدُ أُمْسِي، وكُلما إكتَرثتُ لِوجودِه، تَلاحقتْ أهوالِه صَوبي فَ أفزعُ وانهضُ مُغلِقةَ البابَ، جالِسةً خلفِه، حيطةَ أَن يَندَسّ مِن اشلائِهم فِرْقَة، فَ أُقِظُ وَالِدِي بِعجيجيّ الفالِتْ، أتسائلُ لِما أُغلِق الْبَاب واجلسُ خلفهُ!

فَ مَا شأنِ تَغرُّبي بِ إغلاقِ الْبَاب!

أَمَامِي كَوْمَة إشاراتٍ تعجبيّة، اجهِدُ عُرفي لعلّي أُجيدُ دليلًا، فَ يقعُ عِراكًا بين إجابةٍ ونافيها.

أُشاهِدُ هَذَا الجُزء مِن الحَلقةِ كُلّ يومٍ فِي الثّانيةِ بَعْد مُنتصفِ اللَّيْل، ذلكَ لأنّني أبتعدُ بَعْدَمَا أحببتُ زُهدَهُ فِي أياميّ الراحِلة، وَمَا كانَ هِجْرِي إلّا لِقهرٍ غَرّزهُ الرّفيقُ فِي عَيْنِي.

- فَما الّذي فعلهُ الرّفيقُ!

تقبّلتهُ بِفظاظةِ غموضِه، واحتَضنتُهُ وَأَنَا أشُجُّ أضلُعي، حييتُ لحظاتٍ قُربهُ مخالِفةً قُوّتي، تَصّبرتُ فِي لوعتي، أخرستُ تألُّمي، مزّقتُ أورقُي وأنفدتُ حَبْرِي، وبُوحتُ بِسري أشكُ صديقتي فعلتي

واليوم يأتي مُعلِنًا هُيامهُ، تابِعًا إيَّاهَا نُكرانَ مَا قالَ، تسألتُ عَن غرابةِ قَضّيتهِ هَذِه، فَقالَ: "لا أُريدُ كذبًا عليكِ إنّي مَا زلتُ عاجزٌ عَن جَزمِ مَا أُخبّئه"

مِنْ حِينِهَا ونحنُ فِي دولابٍ لَا يكادُ يقفُ فَ يتَدحرجُ مرةً تَلِيهَا، بينَ كَلِمَة ونقاطِ حروفِها أضِجُّ أَنَا، ويتعجّبُ هُو سألًا مَا لَا أطيقُ جوابَهُ، فَ تحقيرٍ منهُ، ومنّي الهَجرُ، حتّى باتَتْ الرسائلُ مُغبرّة لَا ردٌّ يُزهيها، وَلَا صباحٌ بِحجمِ الغَيمِ المُتعاد فِي جوفِ الشّتاء، عَلَى الفيروزاتِ كُنّا قَد عَزفنا

حوارٌ بَعْد ساعاتٍ عِجَاف، انزلتُ السّتار بَيْنَنَا لَيْلَتِهَا، خشيةً مِن اللّه فِيمَا غفلتُ، وَفِيمَا قَسِى الرّفيقُ الّذي أجلستُه فوقَ نَهْرِيّ فَ لَطّخَهُ بِطُهرِ قذارَتِه

طُهرَهُ بِصدق مَا كَانَ يقولُ قَبْل إخراجِ مَا لَمْ يَجزمهُ، وقذارتِه بِخُبثِ سُمومِه الّتي بَزقها نَحْوِي بعدَ القولِ

هَا هِيَ النُقطة قَد رسمتُها لِهذه الْوَرَقَة، لَوّنتُها بِ زراقِ البحرِ وطويتُها، سَطّرتُ مَا بَعْدَهَا أملًا فِي الّلقاء عُمرًا أَو لعلّه سباتَ آخرةِ الدُّنيا..

الْإِهْدَاء:

لِمنْ غرّبنَي بَعْدَمَا لَقيتُني، وسوّد الجَوى بَعْد سطورٍ مِن الأصفرِ مطموسًا بِرجائي، لِلّذي تعدّى عَلَى طيبِ زَهرتي الجّافة وبتَر بعضِ بتلاتِها، لِذلكَ الْأَمَل الّذي سَطّرتُه:

سَأنتظرُ لِيحينَ غروبَ الْقيا، وَلَمَّا الْغُرُوب!

فَ كَان وقتُ التّسطيرُ..

الباب السادس

راما جمال الشاويش

لَا أَعْلَمُ مَاذَا سَأخطوا وَلَا أَعْلَمُ سهمَ السّرد، تَتَزَاحَم الْأَفْكَارُ فِي بَاطِنِي، وكَأن عَقْلِيٌّ ساحةً مَلِيئَة بالكلامِ المُقيّد، وأُريد إنزالِه عَلَى كتفِ أَحَدُهُم، لَكِن الْخَوْفِ مِنْ الخِذلان كَان حاجزًا لـ عَقْلِيٌّ ذُو كومةِ الْكَلَام والتساؤولات وَاللَّوْم.

لَمْ أَكُنْ اعْلَمْ أَنَّهَا النّهاية، كُنْت أظنُّ إنَّهَا مُجَرَّدٌ كوابيسٌ تُعلقني لحظاتٌ فَقَط، وسأرجِعُ حتمًا، إلَّا أَنَّهُ بَاتَ بِهَذَا السُّوء.

و الْآن سأكتبُ إلَى الظُّروفِ الْقَاسِيَة الَّتِي أَفْسَدَتْ ودَّ الْحِكَايَة: نَحْن نعاند والظُّروف تَعَانُدٌ والضحيةُ هِي حكايتُنا المُستذَلّة، أَنْتَ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ أَقْوَى مِنْ الظُّروف، وَأَنَا كنتُ أُرِيدُ أَنْ لَا اخسرك، ظننتُ أَنَّنَا سَننتصر عَلَى هذِه العَقَبَات وَلَكِنَّهَا هزمتنا، ظننتُ أَنَّنَا أَقْوَى مِنْ كُلِّ هَذِهِ الهُرائات، ظننتُ أنكَ باقٍ فِي ورقاتي، وَنَسِيتُ أَنْ بعضَ الظّن إثْم.

أَتَعَلَّم؟

هذِه الضّربةُ الْأَخِيرَة كَانَت كَفِيلِه لِتُكملَ خيبتي بِك وَلِأَنِّي لَم أَنْهَار تِلْكَ اللَّيْلَةِ، أَنَا أشعرُ بالتعبِ فِي رُوحِي دائماً.

يَا اللّٰه لَا تكسرني مرةً بَعْد، لمْ تَعَدّ للروحِ روحٌ تُجبر، يَارَبّ إنَّنِي مُرهقة جدًا وسئمتُ إلَى حدٍ كَبِيرٌ، وَإِلَى الْآنَ لازلتُ أَتَذْكُر تلكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي ذَرَفَت الدّمع فِيهَا حِينَمَا أَصَابَتْنِي تِلْك الْخَيْبَة.

عِنْدَمَا تَتَكَلَّم الفَتَاة عَن الْفِقْدَان يَعْتَقِد الْجَمِيعِ إنَّهَا تُقْصَدُ رجلًا، نظرتهم ضيّقه جدًا متناسين أَن الْفَقْد يَشْمَل العَائِلَة، وَالْأَصْدِقَاء، وَالْأَحْلَام، وَالتَّنَفُّس أَحْيَانًا.

وَلِهَذَا السَّبَب سَأَقُول: لَو تعملي يَا صديقتي عَدَد الْمَرَّات الَّتِي شعرتُ بِهَا إنَّنِي بمفردي تمامًا، بالرغمِ مِن وجودكِ لأدركت خَيْبَة أَمَلِي بِك

وَالْآن حَان دَوْرَك يَا عَزِيزِي الْقَارِئ،

أَخْبَرَنِي بِنصًا كَيْف هي أَحْوَال قَلْبِك؟

الْإِهْدَاء

شُكْرًا لِأَنَّك لَمْ تُتْعِب يَوْمًا مِنْ طلباتي.. شُكْرًا لِأَنَّك لَمْ تَغْضَبْ عَلَيَّ مِنْ كَثْرَةِ اخطائي.. شُكْرًا لِأَنَّك لَمْ تُسَام يَوْمًا مِنْ حُزْنِي الْمُتَكَرِّر.. شُكْرًا لِأَنَّ بِمُجَرَّدِ التَّفْكِير بِك يَجْعَلَنِي سَعِيدَة..

أَتَعَلَّم مَاذَا؟؟.. أَنَّا لَا أَشْعُرُ بلإحباط مَعَك.. فَأَنْت تُفْرَش لِي الدُّنْيَا أَمَل..

أَنْت الْأَغْلَى فِي عَيْنِي، أَنْت الْمُمَيّز

أَنْتَ أَجْمَلُ جُزْء كَتَبَ فِي قَدْرِي.. أَنْت مَصْدَرٌ أَمَل لَا يَنْتَهِي.. أَنْتَ مِنْ رَسْمِ الابْتِسَامَة عَلَى وَجْهِي.. أَنْتَ مِنْ تَمْسَح دَمْعِي.. أَنْت الرَّاحَةِ الَّتِي رَزَقَنِي اللَّهُ بِهَا عَلَى هَيْئَةِ إنْسَانٌ.. لَن أَجِد مِثْلَك.. لِهَذَا اريدك حَقًّا مَعِي..

أَنْت شَخْصًا غَيْر اِعْتِيادِي..

غَيَّرَت كُلَّ تَفَاصِيلِ حَيَاتِي..

كُنْت الدَّوَاء لمرضي..

و كَالنُّور لظلام قَلْبِي..

أَنْتَ مِنْ احتواني شتاتي، أَنْت الضَّوْء بَعْد عَتَمَة اللَّيَالِي، أَنْت مساحتي الْخَاصَّة وأَنَا جَمِيع ممتلكاتك، لَا شَخْصٌ قَبْلَك وَلَا شَخْصٌ بَعْدَك، أَنْتَ مِنْ رَفْعِ مِعْيَار الْوَفَاء بِعَيْنِي، أَنْت حَيَاتِي الْأَزَلِيَّة، أَنْتَ كَمَا أُحِبُّ تماما وأَمَانٌ لخوفي.. ومُزِيل لحزني، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يَرْزُق قَلْبِي طَعْمٌ فِرَاقَك، أَنْت فِعْلًا وِجْهَتِي الدَّائِمَة بِكُلّ الظُّرُوف فِي فَرَحِي قَبْل حُزْنِي.

الباب السابع

راما سمير الجيوسي

_بَعد تَجْرِبَة حُب فَاشِلَة سَأَقُول:

"اودُ لَو اتقيأ قَلْبِي. "

_هو اعْتِرَافٌ حَزِينٌ، لَكِنَّه حَقِيقِيٌّ جداً:

مَا زِلْت أَصَاب بنوبات حُزْن مُفاجِئَة لِأَنَّنِي تذوقت الْفِرَاق أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، هُجِرَت حبيبًا أَو تَرَكَنِي، سَرَق الْمَوْت عزيزًا عَلَى غَفْلَةٍ أَوْ راقبته يُغَادِر حَتَّى رَحَل.

كُلّ الْفَقْد مُر، كُلّ الْفَقْدُ فِي قَلْبِي لَا يَمُرُّ ؛ أَنَا وللأسف تَعِيش العَلاَقَات فِي صَدْرِي وَقَلْبِي حَتَّى بَعْدَ انْتِهَائِهَا، كُلّ شَخْصٍ رَحَلَ مِنْ حَيَاتِي أَخَذ برفقته جزءًا مِنْ رُوحِي لَا يَعُودُ مَهْمَا حَاوَلَت أَو بَكَيْت.. "لكني صَامَتْه، هَذَا عَيْبِي الدَّائِم، صَامَتْه منتصره أَم مهزومه، قلقَّه أَم مُسْتَقِرَّةٌ، مَعِي الْحَقّ أَمْ عَلَيَّ، جَبَانَةٌ أَم شَجَاعَة أَنَا صَامَتْه دائمًا، دائمًا."

"أكره الْخِيَانَة وَأَخَاف عَلَى النَّاسِ مَنْ شُعُورِ الْخِيَانَة، و أَرَى أَنَّهُ مِنْ أَسْوَإِ الْمَشَاعِر الَّتِي قَدْ تُجْعَلُ الإِنْسَانَ يَعِيش بِصُورَةٍ لَا تُشْبِهُ شَخْصَه ويَتَحَدَّث بنبرة لَا تُشْبِهُ صَوْتَه. "
_فِي كُلّ الْأَحْوَالِ سأختار أَنْ أَكُونَ أَكْثَر لطفاً

_لا أَحَدٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ نستخدم مَعَه الْقَسْوَة

_كلما كُنْت طيباً

_كلما طَابَت لَك الدُّنْيَا

_وكثرت مسرّاتك

_وتضآل هَمَّك

_وحفظت مكاناً جميلاً لِنَفْسِك فِي قُلُوبِ الْجَمِيع.

كانت معاناتي الدَّائِمَة إنَّ قَلْبِي لَا يَحْتَمِلُ الْقَسْوَةِ فِي الْحَدِيث أُكْرِه النقاشات الْحَادَّة وَالْخِلَافَات وَالنَّقْد الدَّائِم، يُؤْذِينِي سُوءُ الظَّنّ، وإتهامي بفعلٍ لَم أقصده يومًا مَا، فَأَنَا لَسْت مِمَّنْ يجيدون الدّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، بَلْ أَكْتَفِي بِالصَّمْت حَتَّى وَأَنَا عَلَى حَقّ وَكُلُّ مَا أتمناه أَنْ تَكُونَ العَلاَقَات مِن حَوْلِي مُرِيحَة وَالْأَشْخَاص لُطَفاء فَقَط.

"المثير للدهشة، أَنْ تَكُونَ فلسفتك حَزِينَةٌ وَوَجْهُك بَشُوش، وَتُحِبّ الصَّبَّاح وَلَا يَفُوتُك سَهرَ اللَّيَالِيَ، قَلْبِك يَغْلِي وَأَفْعَالِك بَارِدَة."

"علينا أَن نتعايش معَ حَقِيقَةُ وُجُودِ شيءٍ يُدعى انْعِدَام الرَّغْبَةِ فِي الْكَلَامِ، لَا أقصدُ الِانْعِدَام اللحظي بلّ انْقِطَاع الرَّغْبَةِ فِي الْحَدِيثِ لِيَوْمٍ أَوْ لِأَيَّام عِدة. "

_سأبدأ قِصَّتِي مِنْ هُنَا:

(خِيَانَة الْحَبّ)

بَدَأَت قصتنا مِنْ ذَلِكَ الشَّارِعُ الَّذِي صَادَفَت بِه سيارتك الْحَمْرَاء.. لَمْ أَكُنْ اعْلَمْ أَنَّك سَتَكُون نِهَايَةٌ يومًا مَا! مَرَرْت مِنْ جَانِبَيْ لَكَ الْغَرِيب والْيَوْم عُدَّت نَفْس الْغَرِيب الَّذِي اِقْتَحَم حَيَاتِي فِي اللِّقَاءِ الْأَوَّل.. لَيْتَنِي لَمْ أَقْبَلْ الْحَدِيث مَعَك.. لَيْت صُورَةِ الْقِطِّ لَمْ تَكُنْ فِي حِسَابِي الشَّخْصِيّ.. لَيْت الْبِدَايَة لَم تَبْدَأ ولَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ أَنَا بطلة مسلسلنا الرومانسي اللَّعِين.. لَيْتَنِي لَمْ أرَى فِيك الْأَب والْأَخ والصِّدِّيق والْحَبِيب والسَّنَد.. ليتك لَم تأتِ.

لَيْتَنِي لَمْ أَدْبَر الصّدِف لرؤيتك.. لَيْت شَرِكات الاتصالات أُغْلِقَت قَبْلَ أَنْ نَتَحَدَّثَ لَسَاعَاتٌ.. لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ أَعَدّ الدَّقَائِقِ والسَّاعَات لِيَأْتِي الْمَسَاء ل أَخْرَج لرؤيتك فِي مَكَان عَمَلُك... لَيْتَنِي ولَيْتَنِي ولَيْتَنِي!! عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا!

هَلْ مَا زِلْت تحبني؟.

اعْلَمْ أَنَّك لَا تَقْرَأُ مَا أُكْتُب.. واعْلَمْ أَنَّك تتفنن فِي الامبالاه لِمَا حَدَثَ لِي.. لاَ تُقْلِقْ يَا عَزِيزِي ف أَنَا مِنْ بَعْدِك أَصْبَحْت أَقْوَى وأَجْمَل لَكِنِّي هُنَا لتذكيرك إِنِّي قَدِمْتُ لَك قَلْبِي عَلَى طِبْقِ مِنْ ذَهَبٍ وهَذا لَمْ يُحْدِثْ لسواك.. لِتَقُوم أَنْت بِكُلِّ مَا يَحْمِلُهُ الْعَالَمِ مِنْ بُرُودِ

وقَسْوَة بِرَمْيِهِ فِي أَقْرَبِ سَلَّة مُهْمَلَات.. وَقَدْ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْ السلات فِي مَطْعَمَك الْفَاخِر!.

انْتَظَرَت رِسالَةً واحِدَةً مِنْكَ - على الْأَقَلّ - لَكِنَّهَا لَمْ تَصِلْ والْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذَا!

مشاعري مبعثرة كثيرًا، أَشْبَه بكومه رَمَاد بعثرتها الرِّيَاحِ أَوْ بِسَفِينَة وَسَطِ الْبَحْرِ، أَظَلَّت طَرِيقُهَا... حقًا إنَّنِي مغفله.

هَل تُؤَدّ أَنْ أَكْتُبَ لَك إنّني اشتاقك؟

أَو إنَّنِي لَا أَقْوَى عَلَى النُّهُوضِ مِنْ السَّرِير دُون وُجُود رِسَالَة مِنْك عَلَى هاتِفِي تَقُولُ فِيهَا "صباح الخير"

هيه! مِن تَظُنّ نَفْسِك أَيُّهَا الْمُغَفَّل.. اُنْظُر وتَعْلَم مَعْنَى الْقُوَّةِ فِي نُصُوصِي!
يومًا مَا سَتَكُون فِي مَحَلّ شَفَقَة.. وسَأَكُون أَنَا طَوْقُ النَّجَاة الْوَحِيد! صَدَقَنِي لَنْ أَفعَلَ.. ولَنْ أقُومَ بِ انتشالك! لَيْس لِأَنَّنِي حقودة، بَل لأَنّي أُحِبُّ الدُّنْيَا عِنْدَمَا تَدُور.

الْإِهْدَاء

هَذَا مَا بدأتُ بهِ كِتَابِي الثَّانِي..

سُكَّان الْقَائِمَة السَّوْدَاء..

إِلَى الْأَوْقَاتِ العصيبة الَّتِي عَلَّمْتَنِي الصَّبْر.

وَإِلَى الطِّفْلَة الَّتِي كُنتها قَبْل سَنَوَات وَتَظْهَر بيّ كُلّ حِينٍ وَآخَرَ.

ثمَّ إِلَى الْكَلِمَاتُ الَّتِي لَا تَزَالُ حَاضِرَةً فِي ذِهْنِي حَتَّى الْآنَ رَغِم غِيَاب قائليها.

أُهْدِي كِتَابِي إِلَى "نفسي" الَّتِي آمَنْت بِي إيمَانٌ يَقِينٍ لَا يُعْرَفُ الشَّكّ.

إِلَى الْمَوَاقِفِ الَّتِي غَضِبْت فِيهَا وَاشْتَعَلَت حَتَّى ربّتني عَلَى الهُدوء.

واخيراً وَلَيْس آخراً لكَ حَيْث عِشْت أَوْلَى فظاعاتي بِالْحَبّ.

وَاخْتِم إهدائي بِـ أُمّي وأَبِي اللَّذَانِ لَا يَنْفَكَّانِ عَنْ كَوْنِهِمَا أَكْثَرَ مِنْ بَشَرْ، بَلْ وَأَكْثَرُ مِنْ مَلَائِكَةٍ.

وكالعادة..

إهْدَاء إِلَى كُلّ رَوْحٌ تُحاول وَلَا تُصَلّ.

الباب الثامن

رغد نجيب اشحتو

افسدتني الكتابة.....

مرحبًا بعودتك يا صديقي، لقد تحدثنَا للتو لو إنّك تعلم كم يُلاح في فِكري الإستِياء بصورةٍ دائمة وكأنني خُلقت بِدوامةِ حِداد لأبذُل قُصار جّهدي للإنزِياح ولا أرى حتى لمعانٍ طَفيِف، ولو إنَنَي سأتحدثَ عن العَجزِ لإقول لك سُئِلت ماذا" فَعلتِ بعد خيبَتِك الأولى لصرحتُ لم أفعل شيئًا سِوى التَسلسُل إلى خَيبتَي الثانية بِمحاباة لإنه؛ وبالطبع يَخذلك من أخبرتَهُ إنك اكتَفيتَ من الخُذلان"، أود بِشّدة أن لا أجعَلك قَارئاً واجِم لكن يا عزيزي ما بِاليد وسِيلة لإتلو علِيك حُروفًا خالية من الكآبه، لا بُد من إنه يَطرق الحُزنُ بابِك كل وقتٍ وحين ولِطالمَا لملتَ شجاعتِك لِتقرأ حُروفي فستَجمع قطرات دموعك التي تخشّى أن يراها أحد. توقف هل عُدنا لِلبُكاء؟

تباً لهذا الحديث التعيس، لقد سقَط من يداي طبق "المعكرونة" الذي أتلتذذُ به وأقص عليكَ مقتَطفاتٍ عابسة لا بأس أعتذر منك لإنفعالي، لكنني أصبحتُ أنفعل وأغضب لإتفه الأشياء وهذا ليس بشيئًا جيد.

إعتراف سري

كان من المُفترض أنْ أكتبَ عن خيانة أحدهُم ولكن هل دائماً ما نكون ضَحية، إعترف نعم يا عَزيزي أنْت لقد قُمت بخيانة شَخصًا ما أو ربما نفسِك وتُحاول أن تقتَنع بإنك لستَ الطرف المُذنب، لنكن بِمنتَهى الوضُوح اللَيلةَ هل لك بِقلمٍ ووَرَقة لا بأس بإنتظارك.....

عُدت؟ لنُكمل أُريدكَ أن تكتب سراً لم تُخبر به أحد فقط أنت ونفسِكَ، هل كتبت؟ لا شك بِذلك والأن قُم بطي الورَقة تمعن قليلاً لم لا تستطيع إخبار ذلك السّر لإياً كان؟ تخاف أليس كذلِك أو رُبما تَقول يُمكن أنْ أَشعُر بِالندم لاحقًا، أُخبِرك سرًا لقد أخبرتَ شخصًا بشيئًا أخفِيتهُ لَسنوات وبعد ذلك تلاشى، لكنني ما زِلتُ مُغرمةٍ بتفَاصِيلهُ وبِتلك العُيون الصغيرة، وغَمازتهِ التي لا أعرف إن كانت يَمينهُ أم يَسّارهِ ولكن أظُن إنها يَمينهُ، أيإٍ كان فقد قُلت لكَ إنَنَي مُغرمةٍ به. لِنُنهي هذا الحديث فقد باتَتَ عِينَاي مُمتلِئةَ لِغيَابهُ، أتذُكر تلكَ الورقة التي قُمتَ بطيها مُنذ قليل مزقهَا..... والأن لُطفًا قُم بتَشغِيل موسِيقةَ حزِينة نوعًا ما وبعد ذلك أفتح يديكَ كأنكَ تَدعو الله عز وجل ولكن فقط أنُظر وستَرجع شريط

حيَاتك..

أتُراهن إنك رأيتَ بيدكَ ذلك السر الذي كتَبتهُ بالورقة؟

تَبكي لا بأس بعضُنَا يحتاج إلى البُكاء لِنبكي سويًا..... الواحد من فبراير.

"أشعُر الآن كما إنني لا أشعُر بشيء،" أنت ايضًا؟

توقعتُ ذلك رُبما تكون بلا أصدِقاء، هل لك أن تكون صديقي؟ فإنني لا أمُلك أحدٍ قبل الذَهاب أُريدُك أن تكون صادقًا لإنه؛ "الكِذب قام بِتشويه كل ما هو جَميل."

٢:٢٢

الثاني من فبراير.

إهْدَاء:

إلَى أمُي وَأَبِي اللّذَيْنِ كَانَا أَوَّل الداعمين فِي بداياتي وسببًا فِي هَذَا الْإِنْجَاز الْبَسِيط.

الباب التاسع

رهف هاشم أبو معيلش

(سَالِب كُحْل عَيْنِي)

إلى منَ فَطَر قَلْبِي إلى مَنْ خَانْ العَهْدَ بَيْنَنَا لَقَّدْ كُنا فِي حَالَة حُبٍّ هَائِلَة كُنْتُ أنْظُر لَكَ كَأَنَكْ أَعْظَم إنْتِصَارَاتِي وَلكِن بَدَأ الأَمْر بِالتَلاشِي شَيْئَاً فَشِيْئَا كَأَنَنِي فِي كَابُوس مُنْذ أنَّ أخْبَرْتَنِي بِأنَكَ لَمْ تَعُد لِي وَبِلَا إخْبَارِي بِسَبَبْ هَجْرِك لِي، وَلَمْ يَهْدَأ لِيْ جِفْن لَحْظَةٍ وَاحِدَة وَبَات ذَلِكَ الأَمْر يَشْغِل فِكْرِي وَبَالِي حَتَى بِتُ أَتَسَاءَل هَل قُمْت بِالتَقْصِيْر نَحْوَه؟ هَل أَزْعَجْتُه بِأَمْرٍ مَا؟ لِذَا إسْتَقْصِيتُ عَن مُبَرِر حَتَى أَعْلَم مَاذَا حَصَل، فَ قُمْتُ بِ رُؤيَة كُل مَنْ يَقْتَرِب مِنْه فَوَجَدْتُ فَتَاةْ لا أُرِيْد ذِكْرَ أَسْمَهَا فَ فِي كُل مَرَةٍ أَذْكُر إِسْمَهَا أَشْعُر بِشَيءٍ يُمَزِق قَلْبِي إِرْبًا إِرْبًا لَقَدْ سَلَبَت مِنْي من هَامْ قَلْبِي به بَل من كان يَعِزُّ عَلَي أن يَخْدُشه خَدْشاً طَفيفًا كَأَنْ هَذَا الخَدْشَ فِي قَلْبِي، لِذَا مَا كَانَ بِوُسْعِي سِوا أَن أَتَحَدَثْ إِلَيْهَا لِأَرَى مَا كَانَ يَنْقُصْنِي حَتَى يَذْهَب إِلَيْهَا وَيُفَضِلْهَا عَلِي وَمِن بَعْدِ هَذَا عَلِمْتُ أَنَّ النَقْصَ لِيْسَ بِي بَل بِه ذَلِكَ الشَخْص الذِي لَمْ يُقَدِر يُوْمَاً كُلْ مَا فَعَلْتَهُ مِنْ أَجْلِه مِنْ إِخْلَاص وإهْتِمَام، وأَتَمَنَى اللقَاء لِلَحْظَةٍ وَاحِدَة لِأَرَى هَلْ مَا زِلْتَ تُحِبني لَو قَلِيْلَاً، وَيَعِزُ عَلِي قَوُل كَلِمَة الوَدَاعْ وَبِلَا لِقَاء، ويا لَيْتَك تذوق العَذَابْ عَلَى مَا سَبَبْتَهُ لِيَ مِنْ حَسْرَةٍ وَكَسْرٍ لِلخاطِر، وَإن كلُّ ساقٍ سَيسقى بِمَا سَقَى.

عَالَمٌ سَوْدَاوِي

لماذا عَلِي الإعْتِياد عَلَى الشُعُور بِهَذا دَوْمَاً؟ الشُعُور بِالخَوفْ والوِحْدَة وَعَدَم التَقْدِيْر يَشْغِل فِكْرِي بَيْنَ الحِيْن وَالأَخَر دَاخِل جُدْرَان غُرْفَتِي المُظْلِمَة، وَحَتَى خَارِجَهَا إنَّ عَائِلَتِي وَأَصْدِقَائِي حَولِي وَأَنَا فِي عَالَمٍ أَخَر ذَلِك العَالَم الخَاصْ بِي الذِي لا يَعْلَم بِهْ أَحَد هُنَا إعْتَدتُ عَلَى الإرْتِيَاب مِنْ فُقْدَان أَقْرَب الأَشْخَاص إلِي وَلَا أَشْتَرِط فُقْدَانَهُم بِالمَوت فَقَطْ بَلْ هُنَالِك مَنْ هُم عَلَى قَيْد الحَيَاة وَلا يُعِيرُونِي الإهْتِمَام كَأَنَي شَخْصٌ غِيْر مَرئِي وَهَذَا يُعَد فَقْد أيْضَاً فَالإحْسَاس بِالإهْتِمَام والإكْتِرَاث لِوجُودِي شَيءٌ جَمِيْل وَعَدَم وجُودُه يُشْعِرُنِي بِفُقْدَان جُزْءاً مِنِي، أُرِيْد الخُرُوج مِنْ هُنَا لأثبت لِلكَون بِأَسْرِه مَا أَنَا قَادِر عَلَى الأتِيَان بِهْ فَأَنَا يَشْغِل فِكْرِي حَاضِرِي وَمُسْتَقْبَلِي وَفِي كُل مُحَاوَلَةٍ لِي لِأُرِيهُم أَنَني غَيْر مُهْمِل وَمَسْؤُول وَيُمْكِنُنِي فِعْل أَقْصَى مِمَا يَظُنُون يَقُومُون بِصَدِي بَعِيْدَاً لأُكَرِر مُحَاوَلَتِي مِنْ جَدِيدْ وَلَكِنْ بِلَا جَدْوى ؛ لِذَا فَضَلْتُ البَقَاء فِي هَذَا العَالَم عَلَى الخُرُوج مِنْه بَاتَ هُنَاكَ زَعْزَعَةٌ فِي ذَاتِي وَبِتُ أُحِب هَذَا المكَان وَأعْتَبِره مُكَمِلاً لِي، هَل أَنتُم قَادِرِيْن عَلَى إدْرَاك أَنْ يُحِب شَخْصَاً مَا يُؤذِيه؟ بَل مَا يُفقِده السَعَادَة! هَذَا أَنَا لَمْ أَعُد قَادِر عَلَى التَصْدِيق بَأَن أَحَدَاً سَيَقِف إلَى جَانِبِي يَومَاً مَا أو يُؤمِن بِي، وَلَا حَتَى يُخْبِرنِي أَنَنَا سَنَبْقَى مَعَاً يَداً بِيَد؛ لِنَتَعَافَى مِنْ قُبْح مَا يُحِيط بِنَا

مِنْ سَوَادٍ وَظُلْمَةٍ بَشِعَة. إنَّ عَائِلَتِي وَأَصْدِقَائِي حَولِي وَأَنَا فِي عَالَمٍ أَخَر ذَلِك العَالَم الخَاصْ بِي الذِي لا يَعْلَم بِهْ أَحَد هُنَا إعْتَدتُ عَلَى الإرْتِيَاب مِنْ فُقْدَان أَقْرَب الأَشْخَاص إلِي وَلَا أَشْتَرِط فُقْدَانَهُم بِالمَوت فَقَطْ بَلْ هُنَالِك مَنْ هُم عَلَى قَيْد الحَيَاة وَلا يُعِيرُونِي الإهْتِمَام كَأَنَنِي شَخْصٌ غِيْر مَرئِي وَهَذَا يُعَد فَقْد أيْضَاً فَالإحْسَاس بِالإهْتِمَام والإكْتِرَاث لِوجُودِي شَيءٌ جَمِيْل وَعَدَم وجُودُه يُشْعِرُنِي بِفُقْدَان جُزْءاً مِنْي، أُرِيْد الخُرُوج مِنْ هُنَا لأثبت لِلكَون بِأَسْرِه مَا أَنَا قَادِر عَلَى الأتِيَان بِهْ فَأَنَا يَشْغِل فِكْرِي حَاضِرِي وَمُسْتَقْبَلِي وَفِي كُل مُحَاوَلَةٍ لِي لِأُرِيهُم أَنَنِي غَيْر مُهْمِل وَمَسْؤُول وَيُمْكِنُنِي فِعْل أَقْصَى مِمَا يَظُنُون يَقُومُون بِصَدِي بَعِيْدَاً لأُكَرِر مُحَاوَلَتِي مِنْ جَدِيدْ وَلَكِنْ بِلَا جَدْوى ؛ لِذَا فَضَلْتُ البَقَاء فِي هَذَا العَالَم عَلَى الخُرُوج مِنْه بَاتَ هُنَاكَ زَعْزَعَةٌ فِي ذَاتِي وَبِتُ أُحِب هَذَا المَكَان وَأعْتَبِره مُكَمِلاً لِي، هَل أَنتُم قَادِرِيْن عَلَى إدْرَاك أَنْ يُحِب شَخْصَاً مَا يُؤذِيه؟ بَل مَا يُفقِده السَعَادَة! هَذَا أَنَا لَمْ أَعُد قَادِر عَلَى التَصْدِيق بَأَن أَحَدَاً سَيَقِف إلَى جَانِبِي يَومَاً مَا أو يُؤمِن بِي، وَلَا حَتَى يُخْبِرنِي أَننَا سَنَبْقَى مَعَاً يَداً بِيَد؛ لِنَتَعَافَى مِنْ قُبْح مَا يُحِيط بِنَا مِنْ سَوَادٍ وَظُلْمَةٍ بَشِعَة.

الْإِهْدَاء

أُقَدِم الشُكر لعَائِلَتِي وعَلى رَأسها أبِي وأُمِي مَن كَانُوا سَبَبَاً فِي وصُولِي هُنا أشْكُرُكُم عَلى دَعْمِكُم لِي يَا أَغْلَى مَا أَمْلُكْ أَنْتُم نِعْمَة أَحْمِد الله عَلَى وجُودِها فِي حَيَاتِي..

الباب العاشر

سارة غازي بدران

أَننِي لَا أَهتَم

سنتيْنِ وَتِسعَة أَشهُر وَأَربعَة أَيَّام وَثَلاث سَاعَات وَبِضعَة دَقائِق وثواني قَد مرَّ عَلَى فِراقِنَا، لَكنِّي حقًّا لَا أَهتَم ولَا اِكترَث وحقًّا لَم أَعُد أنَا كمَا كُنْت أنَا أَكرَهه ولَا أَدرك لِمَا لَا أَزَال اِحتفَظ بِأَدق تَفَاصِيلَه، لِأراقبه بِصَمت طَوَال الأيَّام اَلتِي مضتْ، وَينبِض قَلبِي بِشدَّة حالمَا اِسْمع بِأَحد يَتَرنَّم بِاسْمه، أَرغَب فِي التَّحَدُّث مَعَه وَعدَم التَّحَدُّث، أَيُعقَل أَنِّي قَد جَننَت!

صِفاته لَيسَت بِتلْك الجاذبيَّة

وَكَلَامُه لَيْس بِالْمعْسول، كَيْف لِذَاك الأبْله

جَعلِي أَقَع فِي فخّ حُبِّه الملْعون!؟

أَتذَكر كَيْف أنَّ مُحادثتنَا لَم تَكُن تخلَّوْا مِن النِّكَات، وأنَّنَا كُنَّا نَخلُق الْأَحَادِيث لَالِي نَنقَطِع عَن الكلَام

أُنسِيت تِلْك الأيَّام؟

أَم أنَّ قَساوَة قَلبِك طغتْ

حَتَّى أَنَّك لَم تُبَالِي لِكلِّ اللَّيالي

وكسرتْ قلْبًا أَمْن بِك وبأكاذيبك الخادعَة.

آخَر يوْمًا لَنَا

تلقَّيْتُ رِسالة مِنْك اِحتوَت عَلَى بِضْعَة حُرُوف جَافَّة كَافِية بِأن تَقتُلني أَلْف مَرَّة اِخْتصَرتْ كُلَّ تِلْك الأيَّام بِسَطر لَم يَتَعدَّا اَلمِئة حَرْف، دَمْع قَلبِي قَبْل أَن تَدمَع عَيْناي، تَحطُّم جَسدِي، حَتَّى بَات صَعْب عَلِي أنَّ اِلتقَط أنْفاسي، أَشعَلت اَلحرِيق وَلَم تَكتَرِث فِيمَا لَو أَنَّه لَم يُخْمِد حَتَّى اليوْم، كَيْف أَمكَنك اَلرحِيل بَعْد تِلْك اَلسنِين؟

أَتحَسب الفرَاق هِين، أحْببْتك أَكثَر مِن نَفسِي حَتَّى بتّ أَكرَهك بِعمْق حُبِّي لَك بِالْماضي، كُنْت أُعاتِبك لِأنَّني أردْتُ أَن تَبقَى أَمَّا الْآنَ فَقَدْ اِكْتفَيْتُ وَأُرِيدُ أَنْ أُغَادِر وَأنَا حِين أُغَادِر أَقفَل اَلْباب خَلفِي بِهدوء وَامضِي، يُصْبِح المرْء باردًا لِشدَّة مَا اِحترَق أَعدَّك بِأَنك ستنْدم عَلَى خسارَتك لِي وَذَاك الأمْر لَيْس بِبعيد لَن أُسَامحَك عَلَى دَفْن قَلبِي بِدم بَارِد...

الْإِهْدَاء

إِلى مِن أَحبنِي كيْفمَا كُنْت،

مِن جِئْتهم مِن تِلقاء قَلبِي،

مِن اِمسِكوا بِقلْبي قَبْل يَدَاي

مِن اِخْتارني المأْمن لَا ضِيق لَه

مِن بكيْتُ عَلَى أَضلعِه،

مِن نُذُر عَلَى نَفسِه سعادَتي

أُمّي، أَبِي، عائلَتي، أصْدقائي

وفريقي (نايْ) الأحبّ إِلى قَلبِي

وأدين اَلكثِير إِلى كُتُبي وكتاباتي

فَهِي اَلتِي سَمحَت لِي إِلَّا أَرَى الْعَالِم عَبْر نظَّاراتي فحسْب

ملكْتم ذَاتِي واسْتوْطنْتم أعْماقِي

بَعْد معْرفَتي لَكُم

دُمتُم لَيّ..

الباب الحادي عشر

سبأ القيسي

(لَا تجهش)

عَلَى حَافَّةِ الضَّرِيح وَقَفْت.. كُنْت الْحَيّ الْوَاقِف وَكُنْت الْمَيِّت الْمَدْفُون.. كُنْت الِاثْنَيْنِ فِي أَنَّ وَاحِد.. لَا بَأْسَ عَلَى جَمِيعِ الْجِهَاتِ كُنْت مُحْتَضَرًا..

وَلَا أَيّ شَيْءٍ يُوَاسِي مَا بداخلي أُتْرُكُونِي فِي قَعْرِ وسائدي أَحْتَسِي دُمُوعِي مَع شجني الجاثي عَلَى صَدْرِي يَرْج ضُلُوعِي ويطمس عينيَّ أُتْرُكُونِي فِي قِلَّةِ حِيلَتِي ورجفان يَدَاي فِي خَوْفِي وكمدي الْبَاقِي أُتْرُكُونِي. بَيْنَ تِلْكَ السَّتَائِر المنسدلة أَنَّهَا تواسيني أَوْ مَعَ ذَاكَ الْحَائِط الرَّطْب سَوْف يطبطب عَلَى كَتِفَيْ ويُسْنَد ضهري الْهَرَم س أَنَام مَعَ تِلْكَ الصُّوَرِ والْقَصَائِد الحزينة الَّتِي سأخطها بِلِسَانِي وعاطفتي بَعْدَ قَلِيلٍ برفقة الْمَكَان المقفر مَعَ كُلّ شَيْءٍ يُعَزِّينِي وينتحب بِجَانِبَي سأرتمي هُنَا وَأَبْقَى كِيان هَزْلٌ يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ الْكَثِيرِ مِنْ الذِّكْرَيَات وَالْقَلِيلُ مِنْ الطُّمَأْنِينَةِ فَقَطْ ,لَمسُ الْفَقْد الَّذِي يُشَجّ صَدري أَشْعَرَ بِهِ يَصْرُخ مِنْ بَيْنِ اضلعي الرَّخْوَة وَأَنِين صَوْتِي لَمْ أعُدْ أَسْمَعْه أَنَّه يخفت دَاخِلِيّ فِي تَعَاقُبِ الْأَيَّام الْمُتَأَخِّرَة وِاسْتِفْراد الْوَحْدَة بِي فِي حُضُورِ الْغُيَّاب وَغَلَبَة الْوَاقِع يشعرنّي بِالْجُنُون مَرّ وَقْت.. وَكَمْ مَضَى؟ خمدَ جُنُونِي فِي طَرِيقِهِ حُضُورِيٌّ الكَيّس فِي طوافِ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْمُرَاوَغَة.. أَوْلَيْتُه يبقيني عَلَى الْهَامِشِ فِي عُقُول الْكَائِنَات فَقَط تِلْكَ الَّتِي لَا تظر وَلَا تَنْفَعُ ثُمَّ مَا تَلْبَث أَن تَبْرُق عَيْنَاي

بِدَمْع نَقِي يَتْبَعُه أَلَم لَيْسَ فِي قَلْبِي بَلْ فِي أَعْمَاقِ اعماقِ جَوْفِي، حِين الْتَفَتَ فِي الزَّوَايَا الْبَارِدَة، غَرَابَة الْأَشْيَاء دُونَك سائدة أَشْعَرَ بِهَا تُحْدِق بِي أَشْعَر وَلَا أَشْعُرُ أَوْ كَيْفَ أَدْرَكَ إِنِّي مَازِلْت أَشْعَر؟ أَبْكِي هُنَا وَهُنَا اغفو عَلَى كُرْسِيَّك واصحو أَبْكِي اِحْتَضَن اشيائك وَابْكِي أَرَى كُوب قهوتك وزجاجة عِطْرِك وَابْكِي كُلُّهَا تَسْأَلُنِي عَنْك وتغفوا فِي خَوْفِ الْغُبَارُ الَّذِي بَدَأَ يلامسها. مَضَى أُسْبُوعٌ أُسْبُوعَيْن شَهْرٍ لَا أَدْرِي.. أَدْرِي إِنَّنِي حَيٍّ وَمَيِّتٍ أَدْرِي بِأَنَّنِي هامِد فِي ضَرِيحٍ مِثْلَك هُنَا

ضَوْء الطَّرِيق خَافَت

وَأَنَا أَعْمَى

الشَّمْسِ لَا تُومِئ بِأَيّ ضِيَاء

وَأَنَا خَائِفٌ

وَمَاذَا سَأَفْعَل؟

سأتلمس ضِفاف الْحَيَاة

وارتمي عَلَى إِحْدَاهَا

لَعَلّ مُرَكَّبُ الْمَوْتَ يَأْتِي

فَقَدْ كُنْتُ جَبَانًا مِنْ أَنَّ آتِيَهُ لوحدي.

وَهَكَذَا كُنَّا نَجْلِسُ فِي لَيْلَةٍ شِتَاء مُتَأَخِّرٌ

كُنَّا نكتنف فِي حُجر المدافئ

وَتَحْت مَصَابِيح الدَّار الخافتة

وَفِي وإطار اللَّيْل الْمَعْهُود كَانَ الْمَطَرُ يُزِفّ لَحْنًا غَرِيبًا

فَهُنَاك سَارِقٌ يَتَرَيَّث الْبَاب

أَنَّه شَنِيعٌ فَالْجَمِيع يَعْرِفُه

لَا يَتَرَبَّص

بَلْ يَأْتِي بَغْتَةً

لايترك دَمًا بَلْ صُرَاخًا حَارّ

لَيْلَتِه شَاذَّةٌ

لَيْلَة سَتُذْكَر كُلّ تَفَاصِيلِهَا

يُزِفّ ضحيته بِشَرِيط أَسْوَد يُزَيّن صُورَهُ

وَيُهْدِي أَهْلِيَّتِه صَبَاحًا مُؤْلِم

بِحَسْرَة سَرْمَدِيَّةٌ

لَا تُفْتَحُ لاتفتح الْبَاب.

الْيَوْمَ يَا صَدِيقِي كُنْت أَسِيرُ لمحت أَحَدُهُم يَرْتَدِي نَفْس حقيبتك، قَلْبِي قَفَز دُون انْتِبَاه مِنِّي

يَظُنُّه أَنْت

أَهُو؟

وَكَانَ لَا أَحَدَ يَرْتَدِي تِلْك الحَقَائِب غَيْرِك لَا أَحَدَ، مَرَرْت بِجَانِب بَيْتِكِ الَّذِي هِجْرَتُه ورحلت كَانَ غَرِيبًا لَيْس الْمَكَان الْمُبْهِج الَّذِي أَعْتَدْنَا اللِّقَاء فِيهِ لَيْسَ مَكَانَ شجاراتنا الصَّغِيرَة، لَيْسَ مَكَانَ لِقَائِنَا، لَيْسَ نَفْسَ الْمَكَانِ الَّذِي نتعانق فِيهِ فِي الْعَوْدَة اعْتَقَدَت أَنَّهُ الشَّيْءُ الْوَفِيّ الْوَحِيد الَّذِي سَيَبْقَى محتفظا باسمائنا أَحَادِيثَنَا، امانينا، وَأَسْرَارَنَا، مَتَى مَا خانتني الذَّاكِرَة سيقص عَلِيّ ذكرياتنا أَن غَفَلْت عَنْهَا عَلَى هَذَا الْجِدَارِ اشعلنا نَارًا صَغِيرَة وَكَتَبْنَا أسمائنا هُنَا حَيْثُ وقعتَ أَنْت وضحكتُ أَنَا هُنَا حَيْثُ أَخْبَرْتِنِي بسرك وبادلتني الْقَصَص اختزلنا مَجْدًا مِن الضحكات جَرَّاء الْوَقْت السَّارِق مَزِيدًا مِنْ الصُّوَرِ العفوية الْقَلِيلِ مِنْ كلماتنا المندسة تَحْت عواطفنا الْفِتْيَة كُل الْأَغَانِي الَّتِي لَا نحفظها كُلُّهَا تَتَدَاخَلُ فِي ازْدِحَام دَاخِلٌ رَأْسِي الْمُشَوَّش. لستَ هُنَا ولستَ تَدْرِي بِهَذَا الْأَلَم الطَّفِيف الَّذِي يَطْفُو عَلَى رُوحِي كُلَّمَا صِرْت اعْتَاد تفاصيلنا الصَّغِيرَة بدونك كُلّمَا

مَرَرْت عَلَى هَذَا الدُّكَّان وَحِيدًا كُلّمَا مَرَرْت بصندوق محادثاتنا وَوَجَدْت صَوَّرْنَا والتاريخ بَدَأ يَزْدَاد بِجَانِبِهَا فِي كُلّ مَرَّةٍ كُلَّمَا يَسْأَلُنِي الطَّرِيق عَنْك عِنْدَمَا تَلاَشَت آثَار أَقْدَامِنَا مَنْ عَلَيْهِ وَكُلَّمَا هفوت لَك أَرَدْت الْغَفْلَة وَالتَّجَاوُز حَاوَلَت وَحَاوَلْت لَكِنْ أَنْتَ متجذر دَاخِلِيّ بِعُمْق بِكُلّ مافيه حَاوَلَت قُطِعَت كُلّ الْأَغْصَان، لَكِنَّهَا الجذور أَوْ كَيْفَ تقتلع؟ إلَّا يُغْنِي لَك اللَّيْل لحناً اللهفة إلَّا تلمح صُورِيٌّ تَتَأَمَّل ملامحي الَّتِي بادَت فِي ذاكرتك تَقْرَأ حروفي عَلَى آخَرَ صَفَحَات كُتُبِك تِلْك الْقَصِيدَةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لَك بِكَلِمَات بَسِيطِه اللَّفْظ جَزْلَة الشُّعُور إلَّا زِلْت تَحْفَظُهَا أَم تَرَاك تَلَافَيْتُهَا وخنت وَعَد الْوِصَال بَيْن اسطرها؟ إلَّا تَعُود لرسائلنا الْقَدِيمَة، تَقْرَأْ شَيْئًا ضحكنا عَلَيْه بِسَذَاجَة رِسَالَة بَقِيَت عالقة بَيْنَنَا مَوْعِد تأخرنا عَنْه شجارٌ المتني فِيه وشتمتك أَخْبَرْتِنِي أَنَّكَ لَا تُرِيدُ رؤيتي وصباح الْيَوْم تُعانِقُنا بذساجة.

حُزْنِي الَّذِي أَرْكُد فِيه دُونَك يُلَفّ جنابتي، فَاللَّيْل طَوِيلٌ والعتمُ اتٍ وَأَنَا تَائِه دُونَك كُلّ طُرُق الْحَيَاة بهتت أَمَامِي مَعَ أَوَّلِ فَجْر لَيْلَة سَمِعْتُ فِيهَا رحيلك ذَاك الشُّعُور تغلغلني تحايلت عَلَى نَفْسِي إنَّك تَعُود، تَعُود مَهْمَا حَدَث وَهَا أَنَا أَسِيرُ أَسِير لَا أَدْرِي إلَى أَيْنَ الْمَسْعَى الصَّائِب إنَّنِي لَا أَسِير الْحَيَاةُ هِيَ فَقَطْ مِنْ تدفعني لأن وُقُوفِي يَعُيقّ بطفافة بَسَائِط الْأُمُور أخْجَل مِن دُمُوعِي وهشاشتي دُونَك تجلدني

عَلَى لَهَث الْأَيَّام المبرحة.. ياصاح الْوَحْدَة تلتهمني وَالْخَوْف يتلمسني، الشَّرَّ فِي هَذَا الْعَالِمُ كَثِيرَ وَأَنَا باهَت عَلَى هَذَا. كتبتُ لَك رَسَائِل فِي كُلِّ مَرَّةٍ بَكَيْت فِي كُلِّ مَرَّةٍ كسرتُ واضنى بِي الْعَالِم عِنْدَمَا قهرني حَظِّي الْعَاثِر وَعِنْدَمَا غَلَبَنِي جَهْلِي كُتِبَت وَكَتَبْت لكيان غَائِبٌ رَام رُجُوعُه. يالله أَمَّا زَال يَذْكُرُنِي؟ ايذكر صَوْتِي؟ ايذكر طَعَامِي الْمُفَضَّل؟ الْأَمَانِيّ الَّتِي طرزتها فِي سَمَاءِ يَوْم مُمْل كُنَّا نَسْلُك طَرِيق الْبَيْت؟ سَبَبٌ كرهي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ؟ حساسيتي مِن الأقْحُوَان؟ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَحْبَبْت؟ آخِرَ مَرَّةٍ قصصت شِعْرِي؟ لَكِنَّه اضاعني فِي حقائبه الْمُسَافَرَة وَتَخْلُص مِنِّي ك أَشْيَاء انْتَهَت تَرَكَنِي عَلَى الْهَامِشِ عارِي الْإِنْس وخاويَ الْبَهْجَة أَحْمِل بِيَدِي عُلْبَة وُضِعَ فِيهَا كُلُّ حِبِّي رسائلي، وَأَغَانِي قصائدي وذكرياتي. وطردني مِنْ عُمْرِهِ, أَصْبَحَ لاَ يَحْظُر فِي بَالِي إِلَّا صدفا بِتَفَاصِيل تَخُصُّه أَو خَالِيَةٌ دُونَه يُرْبِض عَلَى رُوحِي طيفه الشَّاحِب ثُمّ يَرْحَل مَعَ أَوَّلِ تَنْهِيدَةٌ لِي، أَصْبَح يَأْتِي نَجْمًا لَا إِطَالَة فِي سهوتي. وباقٍ يَأْتِي ويختفي فِي ضمحليلة الْأَحْلَام الْمُعْتَادَة..

أَيْنَمَا كُنْت وَكَيْفَمَا كُنْت ستبقى دَاخِلِيّ أَكْثَر مِنّي سَلَامُ لِقَلْبِك وعزاء لِقَلْبِي

الْإِهْدَاء

إِلَى الشَّخْص الَّذِي كَانَ يَهْدِيَنِي قصصا فِي صِغَرِي، إِلَى أُمِّي

الباب الثاني عشر

سديل محمد دنون

وحيدةٌ جَالِسَةٌ بَيْن رمادِ ذكرياتي الَّتِي حَرَمَتْنِي مِن الْأَحْلَام، وحيدةٌ بَيْنَ أَرْبَعَةَ جدرانٍ لَا أَسْمَعُ فِيهَا سِوَى صَوْت بُكاء الْمَاضِي، عشقتني الْوَحْدَة فَتَأَلَّم قَلْبِي وَلَمْ أَجِدْ لَهُ مُحتضن، أَضْحَك فَوْق نَزيف جروحي الَّذِي يَتَسَاقَطُ شيئاً فشيئاً ملامحي باهِتَةٌ وَقَلْبِي يُصارع مَع الْأَلَم، مُوجِعٌ أَنْ تَكُونَ هادئاً مِنْ الْخَارِجِ وبداخلك صراعٌ لَا يُريد أَن يهدىء، أَنَا الَّذِي جَفّ ينبوعي فَتَحَوَّلَت جَنَّات أَحْلَامِي مقابراً لدموعي، لَا أَبْكِي لِكُلِّ مَا سَبَقَ وَلَا أَبْكِي لِأَنّ الْأَحْلَام لَمْ تَعُدْ لِي لَمْ أَبْكِي عَلَى الَّذِينَ ذَهَبُوا وَلَمْ يَتْرُكُوا لِي سِوَى ضُعفي، أَبْكِي عَلَى نَفْسِي الَّتِي عانت كثيراً

أتنهد ~

أَتَمَنَّى بِأَنِّي لَمْ أَوْلَد فِي هَذَا الزَّمَانِ لِمَاذَا عَلَى فتاةٍ مِثْلِي أَنْ تَعِيشَ كُلُّ هَذَا الْأَلَم، لتتساقط خَصَلَات شِعْرِي لِيُصْبِح وَجْهِي شاحباً مسوداً، نَعَم لَقَد أُهْمِلَت نَفْسِي أَصْبَحْتَ فِي عالمٍ آخَر عالمٍ مَلِيًّا بالأحْزَان، لَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ وَكَيْف وَمَتَى أُرِيدُ أَنْ أَتَحَمَّل كُلُّ هَذَا، افكاري تَقْتُلْنِي ذكرياتي تُبكيني لَا أَحَدَ يُشْعِر بِي، لَقَدْ كُنْتُ أعاني وَحْدِي أَشْعَر بالأنطفاء لَا أُرِيدُ مِنْ بَعْدِ الآنَ أَيْ أَحَدُ اِبْتَعَدُوا عَنِّي أُتْرُكُونِي، لَقَد انطفئ قَلْبِي أَحْلَامِي أَمَالِي أَظُنُّ أَنَّ قَلْبِي لَمْ يَشْعُرْ بِهَذَا الِانْطِفَاء مِنْ قِبَلِ، لَا أُرِيدُ شَيْءٌ سِوَى أَنَّ أَبْقَى بَعِيدَةٍ عَنْ الْجَمِيعِ لَقَد تأذيت كثيراً يَكْفِي يَكْفِي ارهقتموني مَاذَا تُرِيدُونَ مِنِّي بَعْدَ،

فَقَد يَنْكَسِرْ فِي النَّفْسِ شَيْءٌ لَا يُجْبِرُهُ أَلْف اعْتِذَارٌ، أَشْعَر بالاخْتِنَاق فَهَذِه الْحَيَاة كَادَتْ أَنْ تَقْتُلَنِي وَتَرْمِيَنِي فَهِيَ لَا تُبالِي. أَيُّهَا الْحُزْن؟ أَلَم تَكْتَفِي مَنِيٌّ بَعْدَ؟ الْبُكَاء هُوَ كُلُّ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ الْآنَ، أَسْمَع أَنِينٌ الْمَاضِي وَكَأَنَّه يَسْخَر مِنِّي قائلاً ارأيتِ، ارْتجف بِخَوْف وبألم لَا لَا بَلْ رَجْفَةٌ الْقَهْر، أُفكر كَيْف أُرِيدُ أَنْ أَلْعَب لَعِبُه الِانْتِقَام مَاذَا لَوْ قَتَلَتْ مَاذَا أَفْعَل، أُرِيدُ أَنْ أصرخ، لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ بِتِلْك الْقِصَّة لَيْس لحزمي فِي الْكِتْمَان عَلَى بَوْحٌ عَابِثٌ قَد يَتَفَلَّت حُرِّيَّتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَلَكِن لقِدم مَا حَصَلَ لِيَزِيدَه الدَّمْع ألماً فينطق، ويخفيه صمتاً عَمِيق، أَصْبَحْت اتناقل التَّرْثَرَة مَع نَفْسِي، لِأَنَّنِي أَصْبَحْت اعْلَمْ أَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْآخَرِين اعتياديه، إرحلو لَمْ أعُدْ بِحَاجَة إِلَّا أَحَدُ..

إهْدَاء

إلى كُلُّ شخصٍ خَيَّب ظَنِّيٌّ وَلَم يَشعر بحزني لِكُلِّ مِنْ كَسَرَ أَحْلاَمِي وطموحاتي إلَّا نَفْسِي الْعَزِيزَة الَّتِي لَمْ يُسْنِدَهَا أَحَدٌ غَيْرِي هَا أَنَا الْآنَ بَدَأَت مِنْ جَدِيدٍ فَهَذِه مُجَرَّد ذِكْرَيَات عَلَّمْتَنِي..

الباب الثالث عشر

سجى سليم المسيلم

مَقْبرَةُ قَلْبِي

كَتَبَتْ جِدَارِيَّةً عَلَى أَحَدِ الْمَنَازِلِ فِي حَيٍّ كَبِيرٍ فِي مَدِينَةِ إِسْطَنْبُولْ:

Icimiz yanar ama yüzümüz yine guler

"قُلُوبُنَا تَحْتَرِقُ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ نَبْقَى سُعَدَاءَ"

حَقًّا كَيْفَ لَنَا أَنْ نَبْقَى سُعَدَاءَ هَكَذَا

وَقُلُوبُنَا أَصْبَحَتْ مُجَرَّدَ مِضَخَّاتِ دِمَاءٍ لَا أَكْثَرَ.

وَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَبْقَى سُعَدَاءَ وَصِلَةُ الرَّحِمِ بَيْنَ

قُلُوبُنَا وَعُقُولُنَا بَتَرَتْ وَنَزَفَتْ إِلَى ان جَفْتٍ وَذَهَبَتْ.

كَيْفَ لَنَا أَنْ نَبْقَى هَكَذَا

بَعْدَمَا أَشْعَلُوا النِّيرَانَ بَعْدَمَا خَمَدَتْ

فِي غُرَفِ فُؤَادِي وَبَيْنَ جُدْرَانٍ كَبِدِي

فَأَصْبَحَتْ صَفَحَاتُ الْأَلَمِ لَا تُعَدُّ بِعَدَدٍ،

وَأَحْرُفُ الْعَذَابِ بَدَأَتْ تَتَكَاثَرُ وَتَسْتَقِرُّ،

وَكَلِمَاتُ الْأَسَى تُسَيْطِرُ وَلَا تَضْمَحِلُّ.

كَلِمْتْ كَيْفَ اسْتَوْلَتْ عَلَى دِمَاغِي

لِتُجْعَلَ مِنْهُ دَمْيَةً يَسْهُلُ التَّحَكُّمُ بِهَا:

فَكَيْفَ فَرَّطُوا بِجَمَالِكَ؟

وَكَيْفَ دَفَنُوا شَبَابَكَ؟

وَكَيْفَ ضَحُّوْا بِطُفُولَتِكَ؟

وَكَيْفَ قَتَلُوا حَاضِرَكَ؟

وَكَيْفَ، وَكَيْفَ، إِلَى أَنَّ

يَفْنَى عُمْرِي انْتَظَرَ الْجَوَابَ....

وَفِي جِدَارِيَّةٍ أُخْرَى كُتِبَ:

HER KALPTE BIR MEZARLIK YAR

"فِي كُلِّ قَلْبٍ تُوجَدُ مَقْبَرَةٌ"

فَإِمَّا عَنْ مَقْبَرَتِي فَهِيَ مَلِيئَةٌ بِالْأَصْدِقَاءِ الْقُدَمَاءِ

الَّذِينَ بِرَغْبَتِهِمْ أَصْبَحُوا غُرَبَاءَ،

وَبِالْأَشْخَاصِ الَّذِينَ خُذِلُوا وَدُمِّرُوا،

بِالَّذِينَ خَدَعُوا وَزُورُوا وَابْتَزَوا،

حَتَّى وَصَلُوا إِلَى تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ الْمُظْلِمَةِ

الْمَوْجُودَةُ فِي نِهَايَةِ زُقَاقٍ قَلْبِيٍّ.

فَمَا كَانَ قَلْبِي إِلَّا مَنْزِلٌ

وَكُلٌّ مِنْهُمْ تَعَامُلٌ حَسَبَ حَاجَتِهِ لَهُ،

فَمِنْهُمْ مَنْ وَعَدَ وَأَخْلَفَ فَزَارَ وَرَحَلَ:

وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً * إِنّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ

وَمِنْهُمْ مَنْ كَسَرَ زُجَاجَ النَّافِذَةِ لِنَدُوسَ

عَلَى تِلْكَ الْأَطْرَافِ الْبَارِزَةِ بِالْخَطَإِ،

وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَيْنَاهُ غُرْفَةً كَامِلَةً مُجَهَّزَةً

بِأَحْدَثِ التِّقْنِيَّاتِ وَكَامِلُ الْمُسْتَلْزَمَاتِ

فَاسْتَهْتَرَ، فَأَفْلَتَ فَأَرْتَجِلُ،

فَقَتَلْنَاهُ، فَدَفَنَاهُ،

وَمِنْهُمْ مَنْ رَحَلَ لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ

أَشْعَلَ النَّارَ فَأَحْرَقَ الْمَنْزِلَ،

وَمِنْهُمْ دَخَلَ وَخَرَجَ لَكِنْ قَبْلَ خُرُوجِهِ تُرِكَ

أَثَرَةٌ وَاضِحٌ بِرَسْمِهِ مُلْفِتَةً عَلَى أَحَدِ الْجُدْرَانِ،

وَلَكِنَّ أَسْوَأَهُمْ مَنْ قُدِّمَتْ لَهُ الْمَنْزِلَ كَامِلٌ دُونَ أَيِّ مُقَابِلٍ

فَضَحِكَ، فَابْتَسَمَ، فَاسْتِهْزَاءٌ، فَخَادِع وَاحْتَالَ

حَتَّى دَمَّرَهُ فَأَسْقَطَ سَقْفَهُ لِيَرْتَطِمَ بِأَرْضِهِ

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ إِنَّ الْمَنْزِلَ مُتَهَالِكٌ قَدِيمٌ

لَا يَصْلُحُ لَانٍ يَسْكُنُهُ مُحْتَاجٌ حَتَّى،

حَتَّى تِلْكَ الْحَدِيقَةُ الْخَلْفِيَّةُ الَّتِي

يَصْعُبُ وُصُولُ أَحَدٍ إِلَيْهَا قَامَ بِرَشِّهَا

بِرُذَاذٍ مُمِيتٍ فَمَاتَتْ كُلُّ زُهُورِهَا

وَأَنَا كُنْتُ أَقِفُ بَعِيدًا قَرِيبًا اُنْظُرْ بِصَمْتٍ فَقَطْ.

أَمَّا عِنْدَمَا كُنْتُ أَرْكُضُ نَحْوَهُ

كُنْتُ أَسْقُطُ وَلَا أُبَالِي،

وَكَانَتْ نُجُومِي تَهْطِلُ بِسُرْعَةٍ مِنْ سَمَائِي

وَقَمْرِي يَبْكِي بِحُرْقَةٍ لِأُنْجِدَهُمْ

لَكِنَّنِي كُنْتُ أَعْمَى لَا أَرْهَمُ

وَأَصَمُّ لَا اسْمَعْ ضَجِيجَ تَحَطُّمِهِمْ

وَأَبْكُمُ لَا أَفْهَمُ لُغَتَهُمْ،

أَمَّا عَنْهُ فَقَدْ كَانَ يَجْرِي مُسْرِعًا

وَلَمْ يَلْتَفِتْ خِلِفَةٌ حَتَّى لِيَرَى صُورَتِي،

وَلَمْ يَلْوِي عُنُقَهُ لِيَسْمَعَ صَوْتَ أَنِينِي،

وَمِنْ ثَمَّ ابْتَعَدَ وَلَمْ أَسْتَطِيعُ إِلْحَاقَ بِهِ،

كُنْتُ أَبْكِي عَلَى طَرَفٍ وَسَادَتِي كُلَّ يَوْمٍ

وَأَوَاسِي قَلْبِي الْمُحَطَّمِ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَعُودُ يَوْمًا

لَكِنَّهُ كَانَ آخِرَ شَخْصٍ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ

فِي هَذَا الْمَنْزِلِ وَهَا قَدْ رَحَلَ

وَدَفَنَا ذِكْرَاهُ بَعْدَ أَنْ جَاءَتْ جِنَازَتُهُ،

وَعِنْدَمَا قَالَ عَقْلِي لِقَلْبِي لَا تَقُمِ الْحَدَّادَ عَلَى فَرْقَاهُ

رَفْضٌ قَلْبِي بِأَشَدِّ الْأَلْفَاظِ بَشَاعَاتٍ

وَعَقْلِيٌّ انْسَحَبَ انْسِحَابُ الْكَرَامِ

فَأَعْلِنَ قَلْبِي خَبَرَ الِاعْتِزَالِ وَوَتَرَكَ تُرَابَ الْمَقْبَرَةِ

وَجَاءَ بِأَزْهَارِ الِاقْحَوَانِ فَنَثَرَهَا عَلَى جَمِيعِ الْقُبُورِ

وَمِنْ ثَمَّ اغْلِقَ الْابْوَابَ وَاقْفُلِ الْقَفُولَ

وَاشْعَلَّ الشُّمُوعَ وَرَمَى بِالْمَفَاتِيحِ بَعِيدًا

وَمِنْ ثَمَّ لَبِسَ الَاسْودَ وَجَلَسَ صَامِتًا

وَرَمَى النَّذْرَ بَالًا يَأْتِي بِمِثْلِ هَذِهِ الِامْرَاضِ

وَجَلَسَ عَلَى الرُّدْهَةِ يَتَأَمَّلُ الْبَحْرَ الْبَعِيدَ

وَمِنْ ثَمَّ رَمَى مِفْتَاحَهَا الَى اسْفَلَّ

وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يُوجَدُ ثَلَاثُ خِيَارَاتٍ:

- امَّا انْ يَسْقُطَ مِنْ الرُّدْهَةِ لِيَلْحَقَ بِالْمِفْتَاحِ.

- أَوْ أَنْ يَكْسِرَ الْبَابَ لِيَدْخُلَ وَهَذَا شِبْهٌ مُسْتَحِيلٍ لِأَنَّهُ ضَعِيفٌ

لَا يَقْوَى عَلَى حَمْلِ قَشَّةٍ.

- وَإِمَّا أَنْ يَمْضِيَ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ جَالِسٌ هَكَذَا

يُنْتَظَرُ أَجَلُهُ بَعْدَمَا أَصْبَحَ

أَدَاةُ شَكٍّ جَارِحَةٌ وَحَادَّةٌ

بِسَبَبِ مَا أَصَابَهُ مِنْ جُرُوحٍ

وَحُرُوقٌ وَنَدَبَاتٌ وَكَدِمَاتٌ.

الْإِهْدَاءِ

سَأَهْدِيْكَ أُمِّي مَا كَانَ وَمَا جَاءَ وَمَا سَوْفَ يَأْتِي

مِنْ إِنْجَازٍ لِتَفْتَخِرِي بِي وَبِهِ وَلِتَقُولِي لِلْعَالَمِ هَذِهِ ابْنَتِي

فَحَتَّى ابْنَةُ قُرَيْشٍ تَاهَتْ فِي دَوَّامَةِ الصَّحْرَاءِ

عِنْدَمَا أَخْبَرْتُهَا عَنْكِ وحُرُوفُ الضَّادِ ضَاعَتْ مِنِّي

وَكَلِمَاتُ الْيَعْرَبِيَّةِ بَذَلَتْ جُهْدَهَا

لِتُمَكِّنِي مِنْ قَوْلِ مَا يَحُومُ حَوْلَ

عَقْلِي فَعَجَزْتُ وَأَعْجَزْتْنِي،

وَقَالَتْ لِي إِنْ أَشْكُرَكَ بَدَلًا عَنْهَا.

وَأَبِي الَّذِي جُعِلَ مِنَ الْخَرَابِ بُسْتَانٌ وَمِنَ الْحُزْنِ مَكَانٌ

وَمَنْ أَلْبَسْنَا ثَوْبَ الْأَمَانِ وَنَثَرَ فِي الْبَيْتِ شَعْرَ الِاسْتِقْرَارِ

وَأَصْدَرَ دُسْتُورُ الْإِصْرَارِ

لِيَهْدِيَنَا تَعَبَهُ عَلَى شَكْلِ ابْتِسَامَةٍ،

فَشُكْرًا أَبِي.

فَشُكْرًا أُمِّي.

الباب الرابع عشر

سهى سعيد حجاج

عَلَى حَافَّةِ الطَّريقِ

ويحدثُ ذَلِك!؟

مَاذَا؟

وَأَيْن؟

وما الَّذِي يَحْدُثُ إنَّنِي لَا اعلمُ لَكِن رُبما أَشْعَر بجليد يَسْتَوْطِن قَلْبِي جلييييد؟؟

نَعَم ماشابه بِذَلِك وما هو سَبَبَ هَذَا الجَلِيد الَّذِي يَسْتَوْطِن قَلْبِي أَنَّهُ هُوَ مَنْ هُوَ؟

مَاذَا تُقْصَد؟

صِف لِي شعورك لَعَلَّنِي اِسْتَنْتَج

أَشْعَر كَمَا أَنَّ لَيْسَ لَدَيّ الرَّغْبَة بِ شَيْءٌ

كَيْف؟

سَأَقُول لَك أَمْهَلَنِي أَجْمَع أفكاري

أُنْظُر ياعزيزي: عِنْدَمَا الْإِنْسَان يُعْطِي بِمَا فِيهِ مِنْ حُب وَاهْتِمَام وحنان وَيَتَلَقَّى صَدْمَة عَكْس الَّذِي يُعْطِيه وَأَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أيضاً مَنْ قَصَدَك وَمَن أَعْطَيْت؟

عذراً عَزِيزِي الْقَارِئ اظنُ إنَّنِي أَدْخَلْتُك فِي دَوَامَه أَو ماشابه اِنْفِصام نَرْجِع لِلْحَدِيث دَعْنِي أُخْبِرُك بشفافية أَكْثَر لَعَلَّنِي بدأتُ أَجْمَع أفكاري

هَيّا مَاذَا؟

قُل

أَنَّهَا الْخِيَانَة!

خيااااانة؟

مَنْ خَانَك مَاذَا تُقْصَد هَل صَدِيقِك الطُّفُولَة أَوْ رُبَّمَا حَبِيبَك؟ لَا إنْ الْخِيَانَةَ لَا تَتَحَدّثُ عَنْ هَذِهِ الفئات فَقَطْ إنَّمَا بِتَأْكِيد تشملهم لَكِنْ لَيْسَ بِالضَّبْط

وَمَاذَا الْآن؟

الْخِيَانَة تَشْمَل خِيَانَة النَّفْس أولاً، ثُمّ خِيَانَة الوَطَن، وَخِيَانَة قَلْب أَمِنَ فِي حُبُّك وَصَدَّقَك وَبَعْض خيانات أُخْرَى كَثِيرَةٌ لِهَذِه الدَّرَجَة يُؤْلِمُك هَذَا الْمَوْضُوعُ؟

نَعَم يؤلمني لِأَنَّ الْخِيَانَةَ تَجَرَّد الْمَشَاعِر والأحاسيس تَبْقَى كَشَجَرَة مَسُّهَا الْخَرِيف وَطَال رَبِيعِهَا هَل ستزهر؟

نَعَم بِالتَّأْكِيد لَكِنْ رُبَّمَا أَكْثَرَ مِنْ حولٍ لتستعيد نَفْسِهَا هَل تَعْتَقِد الْمَشَاعِر اِخْتَفَت لِكَي أَصْبَحْت تُشْعِر بِهَذَا الشُّعُور!

لَا ياعزيزي هَب لَا تَخْتَفِي لَكِن تنطفئ وَأَعُوذُ بِك مِنْ اِنْطِفاء الْقُلُوب

وما الحل؟

أَسْتَعِيد نَفْسِي، اخْتَار الْأَفْضَل، حُكْم قَلْبِك قَبْل عَقْلِك سَتَكُون جيداً

أَتْرُكُك عَزِيزِي القاريء بَيْن حروفي قِرَاءَة مُمَتَّعَة

الباب الخامس عشر

شهد عليان

الخيانة: أَن يعاهدك أَحَدُهُمْ عَلَى البَقَاءِ وَلَا يَرْحَلُ بَل يَتَغَيَّر كثيراً ليجبرك عَلَى الرحيل.

*كان فِي عينكَ شيئاً لَا يَخُونَ لستُ أَدْرِي كَيْفَ خَان؟ *. *كيف يُمْكِنُك أَنْ تَخْدَعْنِي؟ كَيْف يُمْكِنُك أَنْ تجرحني بَعْدَمَا أَخْبَرْتُك أسراري؟ بَعْدَمَا أَخْبَرْتُك عَنْ إِخْبَارِيٌّ؟ أَنْتَ كُنْتَ صَدِيق عُمْرِي، أَنْتَ كُنْتَ مَالِك عَقْلِيٌّ، أَنْتَ كُنْتَ عَيْنِي وَعَقْلِيٌّ الَّذِي أَرَى بِهِ وأفكر فِيه؟ لِمَاذَا جرحتني جُرْح الْأَيَّام، بَعْدَمَا جرحتني الدُّنْيَا جُرْح الزَّمَان؟ أُنْظُر لِمَا حَوْلِي وَاسْأَلْهُم هَلْ مِنْ أَحَدِ جُرح مِثْلِي؟ كُلّ الْأَيَّامِ أَصْبَحْت مِثْل بَعْضِهَا، وَلَا شَيْءَ يُكَبِّر سِوَى الْأَلَم. *.

كفكف دُمُوعِك يَا قَلْبِي فَقَدْ آنَ الرَّحِيلُ، سيرحل مِن عشقته أمداً بَعِيدٌ، وستبقى لِي الذِّكْرَى زَمَنٍ طَوِيلٍ، يَا خُيُول الْعِشْق عُودِي للصهيل، يَا حَمَّام الشَّوْق أَبْلَغُ مِنْ أَحَبَّ: إِنِّي لَا أَرْضَى لَه بُدَيْل، ستظل عَيْنَاي تَبْكِيهِ حَتّى الدَّمْعَة الأخيرة.

حقاً إِنَّنِي أَعِيش فِي زَمَنِ أَسْوَد الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ لَا تَجِدُ مِنْ يسمعها الجبهة الصَّافِيَة تفضح الْخِيَانَة وَالَّذِي مَا زَالَ يَضْحَك لَمْ يَسْمَعْ بَعْدَ بِالنَّبَأ الرهيب أَيْ زَمَنَ هذا.

كنت أَخَاف فَقَدَك واخشاه وكنت أَغَار جِدًّا وَاحْتَرَق مِن غيرتي وَكُنْت أَبْكِي لغيابك *ويتبعثر نبضي وَلَكِن الْآن وَكَأَنَّك لَم تكن خمدت نيراني تُجَاهك وَاحْتَرَق الشَّوْق وَالْغَيْرَة وَأَصْبَح كُلّ شَيْءٍ رماد
*وهذا كُلُّه بِسَبَبِك!! *.

اخبرتك إِنِّي أَكْرَهُ الدُّمُوع فأبكيتني، أَخْبَرْتُك إِنَّنِي أُكْرِه الْخِيَانَة فخنتني، أَخْبَرْتُك إِنَّنِي لَا أَقْوَى عَلَى الْبُعْدِ فهجرتني الْآنَ تَدَّعِي أَنَّكَ حبيب.

بسم اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، أُهْدِيك يَا شَخْصِيٌّ الْمُفَضَّل هَذِه الاقتباسات لِأَنَّك كُنْت مِنْ أَحْدَثَ عِنْدِي هَذَا التَّغَيُّرُ الجذري فِي علاقاتي مَعَ الآخَرِينَ، استلهمت مِنْك الْقَوَاعِد الأَسَاسِيَّة فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ بِالصِّدْق وَالْمَحَبَّة وَالْوَفَاء. كَمَا واتمنى أَن تَدُوم علاقتنا بصدقها ومحبتنا.

الباب السادس عشر

عبدالله أيمن المومني

فِي إحْدَى شَوَارِع بَلْدَتِنَا

هُنَا بِالتَّحْدِيد الْمُمِلّ

مَقْعَد ثُنائِيٌّ وَرُبَّمَا أَيْضًا لِطِفْل صَغِيرٌ

مِنَ الخَلْفِ مُسْنَد ظَهْرِي

الْهَاوِيَة فِي يَمِينِي يُقَابِلُهَا عَلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ نِهَايَةٌ طَرِيق

لَا لَا! فلتطرد تِلْك الْأَفْكَار الشَّيْطَانِيَّة بِسُرْعَة وَإِلَّا.. وَإِلَّا مَاذَا

ستحاسب.. ستحاسب، أتفهم.

مِن فَوْقِي ضَوْء يُضِيء عَتَمَة أمْتَار لَيْسَ إلَّا كَمَا فِي السَّيْرَك تُضِيء فِي عَقْلِيٌّ أفكاراً بَهْلَوَانِيَّة أَمَّا أَمَامِي فَلَا أَرَى إلّا كَوْمَة مِنَ الأفْكارِ المتضاربة بِطَرِيقِه جنونية

أُحَاوِل أَن أفكها عُقْدَة عُقْدَة

شَيْءٌ لَا يَكُفُّ عَنْ الصُّرَاخ فِي دَاخِلِيّ

أَشْعَر بِدُوَار فِي عَيْنِي، لَا أَسْتَطِيعُ الْإِدْرَاك.

مَا هَذَا الْمَكَانِ الْغَرِيب سأذهب إِلَى الْبَيْتِ

سأنام، رُبَّمَا أَنْعَم بِالسُّكُون!

ذَهَبَت أرتمي عَلَى وِسَادَتِي.. حَضَن أُمِّي، عَيْنَاهَا سِرّ الْإِلْهَام

أُريد أَنْ أَعِيشَ حراً طليقاً ك عُصْفُور مِحْلَق فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَبَّر الْبَوَادِي وَبَيْن الْأَشْجَار وَالْبُيُوت

لَا أُرِيدُ أَنْ تَسَيْطَر تِلْك الْمَشَاعِر عَلَى نَفْسِي.

أُمِّي..

هَل يَتَأَلَّم الْمَرْءِ لِهَذِهِ الدَّرَجَة؟

- يَتَأَلَّم إنْ كَانَ فِي قَدْرِهِ

لَا أَسْتَطِيعُ التَّحَمُّل

لَيْتَنِي أَسْتَطِيع إرْجَاع الزَّمَن

اعْتَذَر يَا أيلَام

لَو كنتِ بِجَانِبَي الْآن

كُنْت قلتِ لَا تَحْزَنْ

لِمَا استطعتِ التَّفْرِيط بِي

وَلَكِن الْحَيَاة فَرَّطْت بك

يَا أيلَام

رُوحِي.. رُوحِي.

- هَذَا حُبّ

لَا بُدَّ أَنْ يَحْزَنَ أَحَدٌ

أساساً لمَ نُقِعَ فِي الْحُبِّ؟

عَقْلِيٌّ لَا يستوعب

- خَلَقْنَا اللَّه لنحب بَعْضِ الْأَشْيَاءِ

نَحْن لَيْس لَدَيْنَا رُجُوعَ إنْ أَحْبَبْنَا حَتَّى النِّهَايَة

عِنْدَمَا نَصِلُ إلَى النِّهَايَةِ نَرَى

النِّهَايَة!

نِهَايَةٌ رُوحِي

اجْلِس متكتفاً سارِح الذِّهْن شَارِدٌ اللُّبّ شَمْسِيٌّ باهِتَةٌ وقمري مُضْطَرِبٌ وَوَجْهَي شَاحِب، يتآكلني الْفِرَاق يَزْدَاد نبضي قُوَّةً حَتَّى كِدْتُ أَسْمَعْه

مَع هُبُوب نَسَمَة الْهَوَاء الَّتِي تَدْخُلُ مِنْ النَّافِذَةِ المفتوحة لَا أُرِيدُ أَيّ شَيْءٍ سُوء أَنَّ هَذِهِ الْأَفْكَار الملتصقة فِي رَأْسِي ك قِطْعَةٌ مِنْ لَحْمِي أَن تتنحى

كُنْت قَدْ وَضَعَتِ صُورَتُهَا فِي جِدَارِ غُرْفَتِي..

عِنْدَمَا أُنْزِلَت الصُّورَةِ عَنْ الْجِدَارِ، بَدَأ الْمَكَانِ الَّذِي خِلْفَتُه مستطيلاً باهتاً مِنْ الْبَيَاضِ الَّذِي لَا مَعْنَى لَهُ، وَالَّذِي يُشْبِهُ فراغاً مقلقاً

أَنَا الْآنَ إمَام وَجَع الذِّكْرَيَات

تَصَوَّرَت أَنَّ مَجْمُوعَ ذاكرتي عَنْ إيلَامِ كَانَت قَبْضِهِ مِنْ الثَّلْجِ أَشْرَقَت عَلَيْهَا فَجْأَة شَمْس مُلْتَهِبَة فذوبتها.

جَاء صَدِيقِي إلَى المشفى وَأَنَا جَالِسٌ انْتَظَر الْخَبَر الشَّافِي

- هَلْ أَنْتَ بِخَيْر؟

كَيْف حَالِهَا؟

أَمَّا زَالَتْ فِي الْعِنَايَةِ الْمُشَدَّدَة؟

كُلُّهَا إِيمَاءاتٌ بِرَأْسِي لَا أَسْتَطِيعُ الكلام

- أَدْعُو مِنْ اللَّهِ الشِّفَاء الْعَاجِل لَهَا

وَإِنْ شَاءَ أَنْ تَقِفَ عَلَى قَدَمَيْهَا مِنْ جَدِيدٍ بِسُرْعَة

جَاءَت الْمُمَرِّضَة تَقُولُ إِنَّهَا عَادَتْ إِلَى وعيها

هَل بإمكاني رُؤْيَتِهَا

- لِوَقْت قَصِيرٌ جداً

حسناً

- اتَّبَعَنِي رَجَاء

كَان سَمَاع بِأَنَّهَا بِهَذِهِ الْحَالَةِ مُرهقاً وَرُؤْيَتُهَا أَشَدّ ارهاقاً

- تَبْدُو متعباً

أَنْتِ جَمِيلَةٌ لِلْغَايَة كَالْعَادَة

هَل تشعرين بِالْأَلَم؟

- أَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّهُ لَيْسَ بِقَدْرِك

مَاذَا يَعْنِي ذَلِك؟

- وُضِعَ عَلَى وَجْهِكَ

رؤيتي هَكَذَا تؤلمك.. تَلَوُّم نَفْسِك

لَا تَلُم أَلْبَتَّة

هَلْ أَنْتَ غاضبة؟

- عليكَ؟

نَعَم، إنَّنِي غاضبة جداً

- هَلْ تَعْلَمُ بمَ أُفَكِّر؟

لَيْتَنَا قَضَيْنَا وقتاً أَكْثَر

وَلَيْتَنَا مَشَيْنَا فِي الشَّوَارِعِ يداً بِيَد

لَو ذَهَبْنَا إلَى الحفلات الْمُوسِيقِيَّة والسينما

لَيْتَنَا تشاجرنا أَكْثَر

لَا تتكلمي هَكَذَا يا أيلام

سنتشجار بَعْد، أَعِدُك.

- لَن نَسْتَطِيع بَعْدَ الآنَ

لِأَنَّنِي لَن أَكُون مَوْجُودَةٌ

هَل تُرِيدِين خَلَق شِجار؟

- لَا

لَا قُوَّةَ لَدَيّ الْآن

وَلَكِن كلانا يُعْرَف

هَذِه رُؤْيَتِك الْأَخِيرَة لِي

لَا تهذي يَا أيلَام

- أُريدك أَنْ تَعْلَمَ هَذَا

مِن الْجَيِّد إنَّنِي عَرَفْتُك، وَإِنَّك دَخَلَت إلَى حَيَاتِي، ثُمَّ إنَّنِي أَصْبَحْت رَفِيقَتَك

أَنَا ممتنة لِأَجْلِ كُلِّ ثَانِيَة

هَلْ تَقُولُ هَذَا فَتَاة أَصَابَهَا الْمَرَض؟

- تحسست عَلَى وَجْنَتَي وَقَالَت: تَقُول امْرَأَة وَاقِعَةٌ فِي حُبُّك وَعَلَى وَشَكّ الْمَوْت

أَن تَحَدّثَت عَنْ الْمَوْتِ ثَانِيَة سأذهب يَا أيلَام

- لَا تُذْهِبْ..

بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ هَلْ يَكُونُ جيداً عِنْدَمَا تستشهد لِأَجْلِ الْحُبِّ

وَيَكُون سيئاً عِنْدَمَا أَقَع فِي الْحُبِّ وَأَمُوت

لَا أَعْلَمُ

- لَا، لَيْس، هَذَا جَمِيل لِلْغَايَة

إِنَّنِي أُكْرِه نَفْسِي لِأَنَّنِي جَعَلْتُك تعيشين هَذَا

- إِنَّك تحزنني الآن

كَانَ هَذَا اخْتِيَارِيّ أَنَا

كَان بإمْكانِكَ أَنْ تديري ظَهْرِك وتذهبي مِنْ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ

- وَلَكِن حِينِهَا كُنْت أَعِيش نادمة وَأَمُوت تعيسة

الْآن؟

- إِنَّنِي سَعِيدَة لِلْغَايَة الآن

وَعَدَنِي، لَن تُغْلِق قَلْبِك لِلْحَبّ

أيلام

- لَن تَفْعَلُ هَذَا بِنَفْسِك

حسناً، أَرْجُوك اصمتي

- وَلَن تَنْسَانِي اطلاقاً

أَرْجُوك يَا أيلَام

الْمُمَرِّضَة: رَجَاء دَعْنَا لَا نتعب مريضتنا أَكْثَر

حسناً، إنَّنِي قَادِم

عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ

- تُعْرَف أَي الْأَزْهَار أَحَبّ

هَلْ كَانَتْ إِزْهَارٌ الأقْحُوَان؟

قابلتها بإبتسامة مُتعبة

ستُصبحين بِخَيْر

- أَنَا بِخَيْر لِلْغَايَة أساساً

- يَكْفِي أَنْ تَكُونَ أنتَ بِخَيْر

تشبثت بِيَدِي خَوْفًا مِنْ الْفِرَاق.. الْفِرَاق

لَعَلَّهَا تُسْتَمَع إِلَى وَحْيٌ خَفِي يَقُول: مُنْتَهى

وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تثر، لَم تَشُكّ، وَلَمْ تَلُمْ

فلتبقي خَالِدَةً مُخَلَّدَةً فِي ذاكرتي لِلْأَبَد لَا يطفأها النِّسْيَان وَلَا يَطْوِيهَا

فَأَنْت لَو تَعْلَمِين عَزِيزَةٌ عَلِيّ، وَهَيْهَات لِي أَنْ اِبْتَذَل قَدْرُك عِنْدِي فلأتحمل الْأَلَم طُولَ الدَّهْرِ.

يَا رَبِّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَسِعَت رَحْمَتِك كُلِّ شَيْءٍ، أَنْت الْمُطَّلِع عَلَى الضَّمَائِرِ وَالْقُلُوب، فاعطف اللَّهُمَّ عَلَى مَنْ لَمْ يَقْوَا عَلَى الْفِرَاقِ..

وداعاً - طوال الزَّمَن - إِلَى الأبَدِ - إِلَى أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ..

إهْدَاء

إلَى مَكْتَبِي ومكتبتي وَكُتْبِي، دفاتري وأقلامي وَكُلُّ مَا فِي غُرْفَتِي وبيتي

إلَى نَفْسِي الَّتِي بُذِلَت حَتَّى كَانَتْ مَا بَدَأَت..

إلَى قَلْبِ أُمِّي الَّتِي تُشعرني بِأَنَّنِي مَا أَزَالَ طفلاً فِي بداياتي وَأَزَالَت عَنِّي كُلَّ قسوة

لأنامل وَالِدِي الَّذِي الَّذِي يُنِير لِي كُلُّ عتمة..

لِرُوح إخْوَانِي كُلُّ وَاحِدٍ بِاسْمِه الَّذِين مَلَأُوا عليّ الكون

لِصَدِيقِي الْعَزِيز وَإِلَى جَمِيعِ أَصْدِقَائِي دعواتي لَكُم لِتَطَرُّق بَاب السماء

إلَى أَعِزَّاء قَلْبِي فريقي وعائلتي" نَأْي " فلنجتمع طويلاً حَتَّى إذَا مَا إستتمنا المُبتغى.

الباب السابع عشر

عرين رائد الجمّال

لِكُلّ قَلْب يُوجَدْ لَهُ كَتِف يُسْنَد حَبَّة عَلَيْه، بِكُلّ مَا أَمْعَن مِن الْوَجْد وَالسَّلَام، يلْتَقِيَ بِهِ فِي غُرَّة كُلَّ يَوْمٍ، ليبرد نَار الِاشْتِيَاق وَالْهَوَى.

كنتَ لِي خَيْرٌ حبيبا وأبَا، تُشَدّ يَدَك بِيَدِي حَتَّى لَا أُفَارِقُكَ لوهلةٍ.

كنتَ طبيبَا ومعلما تَفَرَّق لِي بَيْنَ اِسْوِداد الْعَالِم وَتَخْتَار لِي حبَا يَقْطُر بياضَا.

لَا أَتَذْكُر إِلَّا رَائِحَة عِطْرِك الغارقة بفؤادي.

لَا زِلْتَ عالِقًا بأفكاري لَا تُفارقني ولَو لِلَحْظِه، لَا زلتَ الفِكْرَة الأساسيّة الَّتِي أَبَدَأَ بِهَا يُومِئ عِنْدَمَا أُقَلِّب تِلْكَ الصُّوَرِ الْبَالِيَة.

أتذكُرُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ التعيسة الّتي اخْتَارَ فِيهَا قَلْبِك قلباً آخَر غَيْرِي؟

لَمْ أَكُنْ أعي يوماً بِأَنَّ أَحَدًا سَوْف يسلبك مِنِّي ذَات لَيْل!

أمّا عنّي فأقولُ لكَ أنني... لَا زلتُ وَيَا أسَفي أَذْكُرُهَا بِتَفَاصِيلِهَا، تلكَ السَّاعَة المشؤومة الّتي لمستُ فِيهَا رسالةٌ مِنْك ظننتُها تحملُ فِي طيّاتها مَشَاعِر حُب وامتنانٍ لوجودي مَعَك، رسالةٌ تُعَبّر فِيهَا عَنْ مَدى تمسكك بحُبنا وتقديرك لَه، رسالةٌ تُقَسَّمُ فِيهَا عَلَى بقائِك فِي حَيَاتِي حَتَّى الْمَوْت وأنّك لَن تترُكني فِي أيّامي وحيدةً مَتَحَجّرَةٌ، أَوْ حَتَّى

تمنّيتُ لَوْ كَانَتْ رسالةً عَادِيَة تطمئنُ فِيهَا عَنْ أَحْوَالِي وأيامي فيَطمَئنُّ قَلْبِي وأبتَسِم ...

وَإذ بِهَا رسالةٌ لَمْ تَكُنْ بِالْحُسْبَان، لَقَد كتبتَ بِهَا كلماتٍ يَصْعُبُ عَلَى عَقْلِيٌّ نِسْيَانُهَا، كلماتٍ دَخَلَت إلَى قَلْبِي وَخَرَجَت كأنّها سيفٌ طَعَن ذَلِك الحُب بشكلٍ أَلِيمٌ، لَقَد انتصرت بِهَذِه الْمَعْرَكَة بكلماتِك عَلَى تَحْطِيمِ قَلْبِي، لَقَد كتبتَ لِي وَكَأَنَّك تودّعني، أَهَذَا مَا تَحَمَّلَهُ مِنْ حُبِّ لِي؟

أفعلاَ اسْتَطَعْت أَنْ تهجُرني وَتَنْسَى كُل مَا مرَرنا بِه؟

كَيْف استطعتَ وَدُون أَن يرُفَ لَك حباً أَن تهجُر شخصَا أحبّك بِهَذَا الْقَدْرِ؟

شخصَا فَضْلِك عَلَى ظِلّه؟

شخصَا يُضَحِّي بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ لِيَرَى مَلامِح وجهَك تَضْحَك!

لَوْ كَانَ هَذَا هدفُك فصِدقًا أهُنئك، أهُنئك لَقَد نَجَحْت بهدمك لِقَلْعِه وَجَدِّي، لَقَد نَجَحْت بِكَسْر قَلْبِي لَقَد نَجَحْت وقلبتَ أيّامي وَحَالِي وَلَو لِفَتْرَة...

أَقُولُ لَك الْآن أنَّ أَمَلِي خَاب بِالْجَمِيع، بِالرَّغْمِ مِنْ وجودِ أشخاصٍ يقدرونني أَنَا وحُبي عَلَى عكسك، ستندمُ فِي يومٍ وستعود، وأعدُك إنّني لَن أَقْبَل، حُرِّمَ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ وجودُ شخصٍ مِثْلُك فِي حَيَاتِهِ.

لَقَد أَصْبَحْت أَقْوَى مِمَّا سبقى، فَقَد مددني الرَّحْمَن بقوةٍ لأتجاوزك.

اكْتَفَيْت بِأَنْ أَكُونَ كَاتبَه هَذِهِ الْقِصَّةِ.

وَإن أَكُون بطلة لِنَفْسِي، وَمَا أنتَ إلَّا عابراً مَرَرْت وَذَهَبَت فِي ظلامك..

مشاعِر غَيْر مُرتبَة وَسُؤَال عالِق لَا يَغِيبُ عَنْ بَالِي أبداً وبعدَ كُل مَا حَصَل، والحُب الكامِن فِي قَلْبِي وقلبَك لِمَاذَا ذَهَبَت وتَرَكْتَنِي فِي المُنتصف؟ لِمَاذَا هجرتَني وتركتَني وَحَيْدَة فِي هَذَا الْعَالِمُ الْأَشْبَه بالدوامة المُخيفة؟

أَنَا الَّتِي أستحِقُ أَن تَتمسَّك بِي حَتَّى آخَر رمَق!

مَا الَّذِي حَصَلَ فَجْأَة! أحقاً استطعتَ أَن تَتْرُكَني للقدَر؟

لَا أذكُر سِوَى أَنّنِي بَكَيْت كثيراً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، كثيراً حَتَّى تورمَت عَيْنَاي وذبُلَت.... كُنت فَقَط أريدُ كتِفك لأستند عَلَيْه وَابْكِي ك الْأَطْفَال، كُنت أريدُ أَن تمسَح بيدِكَ عَلَى خَدّي وَقَلْبِي لأطمئِن،

كُنت أُرِيدُ أَنْ تُخبرني أَن كُل شَيْءٌ سَيَكُون عَلَى مَا يُرام، وَإِنَّنِي قَوِيَّةٌ وأستطيعُ تجاوزَ هَذَا الكسرِ أيضاَ، كُنتُ أُرِيدُ أَنْ تُذَكِرني بِـ إِنَّنِي شَخْصٌ غَيْرُ قابِل للتَرك وَإِنَّنِي خَسَارَة لِمَن يخسرني!

وَلَكِن بعدَ مُرُور بِضعَ سَاعَاتٍ مِنْ البُكاء أدركتُ بِأَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي أُرِيدُهُ لَيْس مَوْجُودٌ بَعْدَ الآنَ، مسحتُ دُمُوعِي ووضعتُ يَدِي عَلَى قَلْبِي ودعوت رَبِّي أَنْ يَمُدني الْقُوَّةُ عَلَى التَّجَاوُزِ وَالنِّسْيَان وذكَّرت نَفْسِي بِأَنَّهَا لَيْسَتْ الْمَرَّةِ الْأُولَى وَلَا الْأَخِيرَةُ الَّتِي تعرضَ وَسَيَتَعَرَّض قَلْبِي فِيهَا عَلَى الخُذلان..

الْإِهْدَاء

إِلَى أُمّي الَّتِي تُمسك بِيَدِي فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ وَإِلَى أَبِي الْغَالِي الَّذِي يَمُدني بِالْقُوَّة، إِلَى إِخْوَتِي الّذين يمنحوني الشُّعُور بِالطُّمَأْنِينَة وَيَزْرَعُون الحُب بِقَلْبِي، إِلَى كُل صَدِيق قَالَ لِي كَلِمَة رُفِعَت مِن معنوياتي، إِلَى كُل مِن أحبَّهم قَلْبِي ونسيم قَلَمي..

الباب الثامن عشر

لجين سمحان

أنا والليل

اِبْتَعَد لِكَيْ لاَ أُوذِيكَ، لِكَيْ لاَ تكرهني، اِبْتَعَد بِسَبَبِي، بِسَبَب ضَعْفِي، هربتُ مِن مشاعري وذَهَبْتُ إِلَى تلكَ الزَّاوِيَة هُنَالِك حَضنتُ نَفْسِي وبكيتُ لفقدانك، لفقدانِ شَغَفِي، لفقدانِ نَفْسِي بطريقةٍ تَدْرِيجِيَّة، عُدت لَكُرِه النَّاسِ مَنْ جَدِيدٍ نَعُودُ إِلَى نُقْطَة الصِّفْر..

الاكتئاب.

اكتئابي عَادَ مِنْ جَدِيدٍ بَعْدَمَا كُنْت عَلَى وَشْكِ تَصْدِيق اخْتِفَائِه إِلَى الأبَدِ، وَلَكِنْ كُنْتُ مخطئة.. لَم أَتَوَقَّع انْتِهَاء الْقِصَّة هَكَذَا كُنْت أَحْلَم كَبَاقِي الْفَتَيَات احلاماً وَرْدِيَّةٌ مَعَ مَنْ أَحَبَّ وَالْعَيْش بأجمل الْأَمَاكِن وَلَكِنْ مَا لَمْ أتوقّعه حَدَث، أَصْبَح يُحِبُّنِي أَكْثَر وأَكْثَر، إِسْتَخْلَص رُوحِي مِنِّي تَرَكَنِي جسداً بِلَا رُوحٍ، تَعِبَت مِنْ حَبِّهِ الشَّدِيد، مِن حنيته وتَمَلُّكُه، مِن غَيَّرَتْه الَّتِي سادت عَلَى حُبِّهِ وشخصيته، بَدَأَت اِبْتَعَد وَابْتَعَد، ذَبَل قَلْبِي، بَرَدَت مشاعري أَصْبَح كأي شخصٍ بحياتي..

بدأتُ حَيَاتِي مِنْ جَدِيدٍ أَقِفْ فِي الصَّبَاحِ إمَام مرآتي وَأَخَذ نَفْس عَمِيق وأَقُول لِنَفْسِي يَوْمٌ جَدِيدٌ لِكَي أَبْقَى قَوِيَّةٌ وأُكمل: لَا تتأثري فِي شَيْءٍ أَبَقِي سَعِيدَة، أَلْبَس قِنَاع السَّعَادَة وَأَبَدًا يُومِئ أَتَكَلَّم مَع أُمِّي وَأَخْبَرَهَا كَم أَنَا سَعِيدَة بِبِدَايَة حَيَاة جَدِيدَة وتسألني عَلَى

تَفَاصِيلِ حَيَاتِي الْقَدِيمَة أَتَأَلَّم وَأَخْبَرَهَا تُحَاوِل الْمِزَاح مَعِي أَضْحَك وَلَكِن أَتَأَلَّم وَتَقُول كأي أُم مَا زَلَّتِي صَغِيرَة فلتستمعتي فِي حَيَاتِك، أَكْمَل الْيَوْم وَيَنْتَهِي أَدْخَل غُرْفَتِي وَأَغْلَق بَابِهَا اجْلِسْ عَلَى سَرِيرِي وَبِكُلّ هُدُوء شَرِيط سَرِيع يَمُرّ إمَامُ كُلّ لحظاتي ومواقفي مَعَه أَرَاهَا، أَبْكِي بِشِدَّة مَاذَا حَدَثَ؟ اتسائل بِنَفْسِي لِمَاذَا ابتعدنا؟

وَهُنَا يَأْتِي دُورَ صَدِيقِي الاكتئاب بِكُلّ اسْتِهْزَاء وَلَكِن حَيَاتِك أَفْضَل بِدُونِ أَحَدِ لَا يُوجَدُ أَحَدُ يَتَكَلَّم مَعَك طِوَالَ الْيَوْمِ ستكوني سَعِيدَة حققي حِلْمُك كَوْنِي سَيِّدِه نَفْسِك أَبَقِي وَحَيْدَة، وَمِنْ شِدَّةِ ضَعْفِي اسْتَمَع لَه، وَأَتَقَبَّل الْأَمْر..

أَمْسَح دُمُوعِي وَأَنَام، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي أُعِيد نَفْس الكرّة أَقِفْ عَلَى مرآتي، قِنَاع السَّعَادَة، أُمي , سَرِيرِي..

وَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَبْقَى فِي سَرِيرِي بِسَبَب قِنَاع السَّعَادَة الَّذِي اضعته، أُحَاوِل التَّظَاهُر بِأَنِّي بِخَيْر إمَام الْجَمِيع وَأَنْجَح بِهَذَا وبالنهاية أَبْقَى مَعَ ذَاكَ، صَدِيقِي الَّذِي يُسَمَّى الاكتئاب، وَحَيْدَة..

كَمَا لَا أُريد وَيُرِيد.

هَا هِيَ ليلةٌ أُخْرَى نَفْس الَّتِي مَضَتْ لَا نَوْمَ مِنْ شِدَّةِ التَّكْفِير، تفكيرٌ قَاتَل يهمش رَأْسِي مِنْ الدَّاخِلِ، لَا أَسْتَطِيعُ التَّوَقُّف وَلَا أَسْتَطِيعُ البَوْح لأحدٍ مَا بِرَأْسِي أَنَّه يُؤْلِم وبشدة، أسعفني يَا اللَّهُ لَا أَحَدَ غَيْرك

يَسْتَطِع ذَلِك فَأَنَا عَبْدَك الضَّعِيف وَأَنْت مَوْلَاي الْعَظِيم أَنْقَذ عبداً يَتَضَرَّع لَك فِي كُلّ مرةٍ يَسْجُدُ فِيهَا، أَنْقَذ عبداً قَدْ زَادَ حَمْلُه فَجْأَة، أَنْقَذ عبداً لَا يَثِقُ إِلَّا بِكَ، أَنْقَذ عبداً قَد اِسْتَنْفَذ جَمِيع طَاقَاتِه لِمُحَارَبَة بَاقِي الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي خِلْقَتِهَا فِي هَذِهِ الْأَرْضَ اسعفني يَا اللَّهُ..

توحى لِي أفْكَار فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ تُزْعِجُنِي وتُؤْلِم رَأْسِي أَفْعَلُهَا أَوْ لَا، هَل أَسْتَطِيع؟! أَنَا خائفه مِن تَنْفِيذُهَا وَلَكِنْ مَا بكِ يَا نَفْسِي لِمَاذَا ترجعين إِلَى الْمَاضِي وَالْأَفْكَار المعتوهة الَّتِي اقسمتي بِعَدَم الْعَوْدَة لَهَا، مَا بكِ ابتعدتي عَنْ النَّاسِ! مَا بكِ ابيتي الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ مَا بكِ ترفضين كُلّ شَيْءٍ!..

ساعديني لكِي نَخْرُجُ مِنَ هَذِهِ الْحُفْرَةِ الّتِي لَا أَسْتَطِيعُ الرُّؤْيَةِ فِيهَا، ساعديني لِكَي نَخْرُج بِأَقَلّ الخَسائِر، ساعديني انقذيني واسعفيني يَا ذَاتِيٌّ وَيَا نَفْسِي وَيَا رُوحِي..

ليالٍ باردةٍ ومخيفةٍ أَمَامِي هَل سأتخطاها أَمْ لَا.. هَل استطِع؟؟

لَا أَعْرِفُ، مَا رَأْيِك أَنْتَ يَا نُورِيٌّ!؟

بِالتَّأْكِيد ستفعلي انتِ قَادِرَةً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى أَصْعَبُهَا، عَلَيْك الْإِيمَان بنفسكِ

ليلةٌ أُخْرَى أَقْضِيهَا مَع نَفْسِي مَا بَيْنَ التَّفْكِير بِوِحْدَتِي الَّتِي سَلَبَت مِنِّي حَيَاتِي والاكتئاب الَّذِي يُحيطُ بِي، مُسْتَقْبِلِي الَّذِي أَخافُ مِنْهُ وماضيّ الَّذِي أهْرَب مِنْهُ وَمِنْ ذِكْرَيَاتِه البشعه، حَاضِرِي الَّذِي اعيشه كَي أَخَاف وَاهْرَب واكتئب وَإِن أَكُون وَحَيْدَة...

الباب التاسع عشر

لين سمحان

لَمْ أَسْتَطِعْ يوماً أَن ابوح عمّا بداخلي بكلّ شَفّافِيَّة..

لَمْ أَسْتَطِعْ وَلَو لمرة وَاحِدَةٍ إنْ أَتَكَلَّمَ بكلّ مَا أَشْعَرَ بِهِ..

كَان دائماً هُنَاك جزءً مَفْقُودٍ لَا أَعْلَمُ عَنْهُ شيئاً!

اِزْدَحَمَت الْأَصْدِقَاء حَوْلِي وَفَاضَت اجتماعيتي، كنتُ مَلْجَأ الْكَثِير، كنتُ شخصٌ مُبْدِع فِي الاستماعِ لَهُم..

أَنْسَى مَا فِي اعماقي واتجاهلهُ طِيلَة الْوَقْت، لَقَد تحجّر قَلْبِي وتحنّطت عَلَيْه هُمُومِي ومخاوفي دُونَ أَنْ تُجبر، قُلِبَت الصَّفْحَة السَّوْدَاءِ وَهِيَ مَا زَالَتْ تؤلمني لدرجةٍ أَن الصَّفْحَة الْجَدِيدَة قَد حلّ عَلَيْهَا السَّوَاد الْقَدِيم..

لَمْ أَجِدْ مَنْ ينتشلني مِن بُؤْس قَلْبِي، كَثِيرَةٌ الْأَفْكَار وَالْأَحْلَام، مشوّشة الْخَيَال، مغصوصة الْقَلْب وذاتُ ملامحٍ كلّها بَرَاءَة وَحَيَوِيَّة! أَجْلِ أَنَّهَا أَنَا..

وَلَقَد أَرْهَقَتْنِي نفسي.

أحاسيسٌ غريبةٌ ومعقدة..

شعورٌ أَقْرَب لِلْفَقْد..

رائحةُ ألمٍ وَفِرَاقٌ..

رغمَ السُّكُون اللذي يَحْتَلّ هذهِ الْأَيَّام..

كَان يغلبُ نَبْرَة صَوْتَه التَّرَدُّد، الْخَوْف، الْهُرُوب، الْهِجْرَان..

كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي لَمْ وَلَن يتفوّه بِهَا بتاتاً..

قَرَأْتهَا وَسَمِعْتُهَا فِي كلّ مرةٍ أكّد بِهَا بِالْبَقَاء!

كَان لعيناه كلامٌ مضادٌ لِمَا يتفوّه بِه.

إنّي حَزِينَةٌ، مشوّشة، أحمِلُ قلبٌ يملأه الْخَوْف وَالشَّكّ..

وأمّا عَن ظَاهِرِيٌّ فَلَن أَسْتَطِع التَّظَاهُر هَذِه المرّة..

فَقَد إحتلَّ السَّوَاد أَسْفَل عينايْ، وتكبّد الألمُ مفاصلي، وأضربَ دَاخِلِيّ عَنْ اسْتِقْبَالِ الطَّعَام..

يَا مَن تَقْرَأ وتَشعُر، أَعَانَك اللَّهُ عَلَى مَا أَنْتَ بِهِ..

وكأنّ احضاننا حِين تَمَاسَكْت بقوّةٍ فِي المرةِ الْأَخِيرَة كَانَت تودّع بَعْضِهَا وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ..

وكأنّ رَأْسِي عِنْدَمَا ثَقُل عَلَى كَتِفِك لَمْ يَعُدْ يُرِيد النُّهُوض مِنْه..

وكأنّ أَعْيُنِنَا تعانقت وتعاتبت ولامت بَعْضُهَا عَلَى مَا سَيَحْصُلُ ونحنُ لَا نَدْرِي!

وَكَان انفاسنا تبادلت وبقيَت فِينَا لِكَي نَهْلِك مِنْ عَذَابِهَا، وَكَأَنَّهَا تقول ما ذَنْبِي أَنَا؟

واللهِ قَد ظُلِمتُ وتأذّيتُ فسحقاً لِذَاك القُرب الَّذِي لَمْ يمُت فِي هَذَا البُعد!

سُحقاً لِذَاك القُرب...

إهْدَاء

إلَى حَبِيبِي وَرَفِيق الدَّرْب

إلَى شُعُورِي الْمُمَيّز وَالْفَرِيد

إلَى الحب الْأَبَدِيّ والوحيد.. وِسَامٌ.

الباب العشرون

مثنى أبو عليم

السَّاعَة الْوَاحِدَةِ بَعْدَ مُنتصف اللَّيْل أَشْعَر بِأَنَّنِي اِشْتَاق لِشَخْصٍ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي اشْتَقْت لحضنه الدافئ ولضحكته وبسمته إلَى لِمَعَان عَيْنَاه التان أَشْبَه بلمعان النُّجُوم. اشْتَقْت إلَى أَدَقّ، أَصْغَر، وابهت التَّفَاصِيل فِي وَجْنَتَيْهِ اشْتَقْت إلَى حنيته اشْتَقْت إلَى حَدِيثِي مَعَهُ الَّذِي كَانَ يشعرني فِي طُمَأْنِينَةٍ عَظِيمَةٌ جِدًّا كُنْتُ أَشْعُرُ فِي الْحَدِيثِ مَعَهُ فِي شَيْءٍ لَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ وَلَكِنْ فِي ذَاتِ اللَّحْظَة لَا أُرِيدُ سَمَاعُ صَوْتِهِ وَلَا أُرِيدُ رُؤْيَتِه مُجَدَّدًا وَلَا أُرِيدُ أَيّ شَيْءٍ يَجْعَلَنِي اتذكره لَا فِي السَّرَّاءِ وَلَا فِي الضَّرَّاء لِأَنَّنِي أَشْعَر فِي اِنْكِسار فِي أَعْمَاقِ قَلْبِي يَجْعَلَنِي كُلَّمَا ظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِي الضُّحَكَة أَتَذْكُر ذَلِك الِانْكِسَار وَالْخِذْلَان الْعَظِيم. لَكِن يُوجَد شيئ فِي دَاخِلِيّ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ الْخِذْلَان أَشْعَر إنَّنِي اِشْتَاق أَكْثَر رُبَّمَا إنَّنِي دَخَلَتْ فِي حَالَةِ اكْتِئَاب أَوْ رُبَّمَا فِي حَالَةِ اِنْطِفاء مُتَسَلْسِل لَا أَعْلَمُ وَلَا لِي حِيلَةٌ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ الشُّعُور. لَيْسَ هُنَاكَ أَسْوَأُ مِنَ أَنَّ تَمْشِيَ فِي طُرقاً مُنيرة وَلَكِنَّكَ مِنْ انطفائك لَا تَرَى.

شُعُور مُؤْلِم عِنْدَما يَكونُ بِداخِلِ قَلْبِك كَلَام تُرِيد إخْبَارٌ أَشْخَاص فِيه لِكَي تَرْتَاح وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تصيغ الْكَلَام لَهُم لِكَي يفهموك.

جَاهَد أَنْ لَا تَلْتَفِتُ إِلَى الْوَرَاءِ فَإِنَّ الْمَرْءَ عَلَى قَدْرِ حنينه يُهان. وَفِي الْأَخِيرِ لَا اِمْتَلَك إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ دَائِمًا ارْدُدْه.

وَحْدَك يَا اللَّهُ كُنْتَ تَعْلَمُ وَجَع مَرْيَم حِين أَرْسَلْت لَهَا نِدَاء (ألا تحزني) فاللهم رَاحَةٌ لأوجاعنا، ولكن يبقى السؤال. ما سبب هذا الشعور؟

الباب الحادي العشرون

مؤمن القضاة

خِيَانَة الْفَقْد

لَا زلتُ اِرْتَقَب لَحْظَة دُخُولِك مِنْ بَابِ مَنْزِلِنَا، لَم اِقْتَنَع يوماً إِنَّك غادرت الْحَيَاة إِلَى الأبَدِ، مرّت مُدة عَلَى فُراقك يَا أُبَيّ، وَكَأَنَّهَا الْبَارِحَة!

وَاقِعٌ الْمَوْت مُؤْلِم جداً، والأصعب مِنْ ذَلِكَ تصدقيه!

رَحَلْت مُبكراً بِكُلّ أَلَم، تمزّقت الرُّوحُ عَلَى فقدانك يَا أُبَيّ.

رَحِمَ اللَّهُ رُوحَكَ الطَّاهِرَةِ الَّتِي عَجَزَت أَنْ أَرَى مِثْلُهَا فِي هَذِهِ الدُنيا وَلَن أَجِد.

لِلَّه دُر الشَّوْق إِلَيْكَ يَا أُبَيّ، وكأنني اِسْتَأْصَل قَلْبِي مِنْ مَكَانِهِ!

لَكِن ولقائنا الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنْ الْجَنَّةِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَد تَسْتَغْرِق سَنَوَات حَتَّى تُدرك مَعْنَى وَفَاة وَالِدِك.

أَنْ يَمُوتَ وَالِدِك مَعْنَاه أنّك أَصْبَحْتَ فِي العَراء مكشوفاً، وحيداً، ضئيلاً، بِلَا سَنَدٍ، هدفاً سهلاً مُتاحاً لِكُلّ الضَّرَبَات، ستشعر بِأَنَّ الْقَدْرَ يُحيط بِك تماماً، يُظلِّلُك ك طَائِرٌ الرّخ الخرافي، ستُدرك أنّ مَا حَدَثَ لِوَلَدِك لَيْس بعيداً عَنْ أَحَدٍ، مَا أغْرَب أَنْ تَرَى أَبَاك فِي الصَّبَاحِ وتتحدّث إِلَيْه وَتَضْحَك مَعَه ثمّ تَعُود فِي الْمَسَاءِ لتجده جثّة وتواريه التُّرَابِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، سيُدهِشُك أنّ أَبَاك ذَلِك

الْكَائِن الرَّاسِخ الَّذِي شكَّل دائماً عَمُود حَيَاتِك قَد تحوَّل فَجْأَة إِلَى ذِكْرَى وَإِذَا تحدّثت عَنْه تُضيف جُمْلَة "رحمهُ اللَّه"

لَن أَنْسَى تِلْكَ اللَّيْلَةِ الحزينة الَّتِي قضيتُها فِي جَوْفِ اللَّيْلِ كجثة هَامِدَة أَكَلَتْهَا النِّيرَان، نَعَمْ قَدْ أَنْسَى كُل شَيْءٌ مررتُ بِه.

لَكِنَّنِي لَن أَنْسَى صَدْمَة الْخَبَر، مَرَارَة الْمَوْقِف، عَدَمُ التَّصْدِيقِ!

أَتَذْكُر بوضوحٍ شَدِيدٌ ذَلِك الشُّعُور الَّذِي نَهَش قَلْبِي مِنْ أَعْمَاقِه، ومزّق جَوْفِي.

نَعَم أَتَذْكُر مرارتهُ وبشدّه..

إِلَهِي بلّغ سَلَامِي لفقيد قَلْبِي، ومُهجة عُمري.. أَبِي

كَيْف أُخبرك بِأَن الشَّوْقِ إِلَى تَقْبِيل جَبِينُك قَتَلَنِي؟

وَالْحَنِين إِلَى رُؤْيَتِك مزّقني؟

وَالشَّوْق إِلَى سَمَاعِ صَوْتَك غَلَبَنِي؟

وَلَكِن الِاشْتِيَاق حِكَايَة صَعْبَة لَا يُمكن شرحُها فِي بِضْعَةَ سُطُور. سلامُ اللَّهُ إِلَى عيناكَ النائمات إِلَى الأبَدِ، وروحك الطَّاهِرَةِ الَّتِي عَجَزَت عَيْنَاي أَنْ تَرَى مثيلٌ لَهَا.

مَا الَّذِي قَدْ يمُرُّ بِهِ الْمَرْءُ

يَمُرّ الْمَرْءِ فِي حَيَاتِهِ بِإِحْدَاث فَارِقَه، لَا يَكُونُ حَالُهُ بَعْدَهَا كَمَا كَانَ قَبْلَهَا، ولَعَلّ فِرَاق الْأَحِبَّة الْمُقَرَّبِين يُغَيَّرَ فِي الْمَرْءِ مَا لَا يُغَيِّرُهُ سِوَاه، إذ يُصْبِح الْقَلْب حِينِهَا أَكْثَر رِقَّةٌ، والْعَقْلِ أَكْثَرُ تفكراً، والنَّفْس أَقَلّ إهتماماً بِمَتَاع الْحَيَاةِ ولَغْوٌ الْحَدِيث.

فِقْدَان الْأَعِزَّاء يَخْلُق حَالَة شعورية غَرِيبَةٌ تَحْمِلُ فِي طَيَّات النَّفْس شَيْئًا مِنْ الْإِنْكَارِ رَغِم الْيَقِين الْكَامِل بِوُقُوع الْحَدَثِ وواقعيته، إذ يَجِدْ الْمَرْءُ فِي نَفْسِهِ كُلّ حِينٍ رَغْبَة جامحة لِلرُّجُوع لِيَبْحَث ويَتَأَكَّد، فَيَدْخُل الصَّفَحات ويَقْلِب الْأَحْدَاث لِيَجِد أحقاً قَد رَحَل ذَلِك الْحَبِيب وغادر!

مَعَ مُرُورِ الْعُمْر تُصْبِح لَدَيْك قدرةٌ أَكْبَرُ عَلَى كِتْمَان مشاعرك السَّلْبِيَّة، ستتعلم كَيْف تتظاهر إنَّك فِي غَايَةِ الثَّبَات وَالْقُوَّةُ فِي أَعْتِقْ الْمَوَاقِفُ الَّتِي تستدرجك للانهيار، فَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يدفعك فِيهِ كُلُّ شيءٍ لِلْبُكَاء لَن تَبْكِي، بَل ستبتسم كَمَا لَوْ أنَّ الْكَلِمَات السَّامة الَّتِي أَفْسَدَتْ قَلْبِك لَا تعنيك مِن الْأَسَاس، أَيْقَنْت وبشِدة، أنّ هُنَاك حُكْمُه وَرَاء كُلّ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي حَدَثَتْ وَسَوْف تَحْدُث، وأنّ هُنَاك خَيْرٌ عَظِيمٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وفَرح كَبِيرٌ مَكْتُوبٌ يَلِيق بِكُلّ كُمَّيْه الصَّبْر وَالتَّعَب، وأنّ هُناك أَيَّام رَائِعَة وسعيدة سَتَأْتِي تَسْتَحِقّ الِانْتِظَار طَالَمَا إنَّ اللَّهَ مَعَنَا دائماً.

الاهداء

أُهدي نجاحي فِي هَذَا الْكِتَابِ:

إِلَى مَنْ كَانُوا وَلَا زَالُوا سنداً ثابتاً لَا يَتَكَرَّرُ أبداً.

إِلَى رَوْحِ والديّ الطَّاهِرَة الداعم الْأَوَّل للنجاح فِي الْحَيَاةِ، رَحِمَك اللَّهُ يَا فَقَيَّد قَلْبِي.

إِلَى مَنْ تَحْتِ قَدَمَيْهَا الْجَنَّة، إِلَى أُمي نَبَع الدِّفْء وَالْحَنَّان، أدامكِ اللَّه ذخراً وسنداً لِي.

إِلَى إِخْوَانِي، الْكَتِف الثَّابِت، إِدَامُهُم اللَّهُ لِي عُمراً..

الباب الواحد والعشرون

ميلانا نضال غباين

فِي إحدى البِلاد، فِي مَدينَةٍ مَا، وَفِي إحدى ضَواحِيها، عَمارةٍ يَسكُنُها القَليلُ مِنَ النّاس، وَفِي إحدى الشُقَق المَوجودةِ فِيهَا، كانَت شَقْتي تَقعُ فِي الطّابِق الخامِس والثّلاثين، كُنتُ أجلُسُ فِي إحْدَى الزَّوايا مُنكَمِشٌ عَلَى نَفسي أعصِرُ عَيناي مِن آلمِ مَا حَلَّ بِي.

مُغمَضَ العَينَينِ وشَريطُ الذِكرَيات يَنتَقِلُ أمامَ عَيْنَيَّ، ذلِكَ الشّاب الجَميل بِكُلِّ شَيء مَظهرًا وأخلاقًا وأسلوبًا وعقلًا.

فَقد كُنتُ أتَمَيَّزُ عَن أَقْرَأَنِي مِن الشّباب بكَثيرٍ مِن الصّفات، كُنتُ أملِكُ عقلاً فذًا يَحوي كَميَةٍ هائِلة مِن المَعلوماتِ، كُنتُ قارِئًا لِمُختلَفِ المَجالاتِ والعُلومِ، ومُلَمًا بِمُختَلفِ العُلومِ الشّرعِيَةِ الَّتِي تَجعَلُ مِنّي شابًا صالِحًا فِي زَمَن انتَشَرَ فيهِ الْفَسَاد كإنتِشار النّار فِي الهَشيم.

رُبما الْآن يُمكِنُكَ تصَور عَمَّا كُنتُ عليهِ سابِقًا، لَكِن الْآنَ فَلَا أمِتُّ بَصلةً لِمَا كُنتُ عَلَيْهِ فِيمَا مَضى..

لقَد مَرّت ساعاتً مَعدودَةً عَن "خُروجِ" أَو لِأكُن أكثَرَ صِدقًا "هُروب" مَريم مِن شَقَتي بَعدَ أَن دَخَلتها وَهي عَلَى ثِقةٍ تامةٍ بِي وبِأخلاقِي، بَعد أَن تَوَقفتُ عَن الإجابةِ عَلَى إتِصالاتِها وانقَطَعتُ عَن الذَّهابِ إلَى الجامِعةِ - كُنا مَخطوبَينِ - مَريم فَتاةٌ مُؤمِنة وحريصَة جدًا فِي المُحافَظةِ عَلَى نَفسِها وكانَت دَومًا مَا تَضعُ حُدودًا

بَينَنا، فإحتاجَ الأمرُ مِني بِضعَ لَحظاتٍ لأستَوعِبَ كَم مِن مَبادِئها خالَفَت لِخوفِها عَليّ ورغبَتِها فِي الإطمِئنان عَلَى حَالِي ودُخولِها شَقَتي عَلَى الرُّغم مَنْ عَلِمَهَا بأنّ لَا أحدَ هُنَا غَيرَنا.

لَم تَكُن تُدرِك أنَها قَد دَخلت إلَى الكَمين، لَم تَكُن تَعلَم نَواياي وخَبايا نَفسي السَّيئةِ، ولَم أَكُنْ عَلَى وعيٍ لِمَا يَحدُثُ لِي!!

حَدَث إنقِلابٌ فِي حَيَاتِي ليَنقلبَ حَالِي مِن شابٍ مُؤمِن طَموح لشخصٍ عَلَى حِبالِ الإلحادِ يِتأرجَح، وطُموحُه فِي الهَواء قَد تَبخَر، لَقد ارتَكَبتُ جُرمًا فِي اللحظَةِ الَّتِي هَجمتُ فِيهَا عَلَى المِسكينَة مُحاوِلاً إنتِزاع أَغْلَى مَا قَدْ تَملكُه، لَم أهتَم بِدِفاعِها عَن نَفسِها وصُراخُها يَزْدَاد عُلوًا كُلّ ثانِية، وَأَنَا ك الحَيوان الَّذِي لَا يُبصر وَلَا يَسمع وَلَا يَفقَه أمرًا، ولكِن مَا إنْ وَقَع بَصري عَلَى قِلادَتها الَّتِي تَحمل نَقشَ اسمِ "اللّه" حَتَّى سَرت قَشعَريرة فِي أنحاءِ جَسدي، وتَرتَجِف أطرافي عَمَّا كُنت أَنَا بصَدَدِ فِعله، تَوقفتُ عَن الحَركَةِ والصَّدمة قَد تَخلخَلت خَلاياي لأبتَعِد عَنْهَا سَريعًا وَأصْرُخ بصوتٍ عالٍ أطالِبُها بالخُروجِ فورًا.

كانَت تِلكَ الخِيانةِ الْأُولَى خيانَتي لِنَفسي ولِخالِقها، أمّا الثّانية فكانَت خِيانَتي لَهَا عِندما قَطَعتُ كلَّ حِبالِ الثِّقة الَّتِي كانَت تربِطُنا، عِندَما دَمرّتُ كُلّ الأَحلام الَّتِي كانَت تنسِجُها لَنَا معًا.

أتَوَقَفُ عَن التَّفكير وأذهَبُ إلَى المِرآة الوَحيدة المَوجودَة فِي تِلكَ الشَّقة لتَقَع عَيْنِي فِي عينَي إنعِكاسي لأهُزَّ رَأْسِي حَسرةً عَلَى مَا آلَت نَفسي إلَيهِ، لحيَةٌ فَوضَويَة تَنُمُّ عَلَى إهمالِ صاحِبها لَهَا فَترة مِن الزَّمان، عُيونٌ ذابِلة، وهالاتٍ سَوداء تُحيطُ مُقلَتاي، وجهٌ شاحِبٌ باهِتٌ مُصفَر مِن قِلَةِ الطَّعام، وعَقلٌ مُتعَب أرهَقَهُ التّفكير.

أَثْنَاء تَصويبِ نَظَري إلَى المِرآةِ والتّركيز عَلَى الأُفقِ الشاسِع الَّذِي يمتَدُ إلَى المالانهاية فِي عَيْنَاي أَرَى بَصيصَ أمَلٍ يَتألَقُ ويلمَعُ مِنْ بَعِيدٍ!

يُنَبِؤني ذَلِكَ عَلَى أنَّ الفَرجَ قَريب..

وأنَّ هاذ البَحرَ الواسِع المُظلِم العَميق سَتَكونُ نهايَتُه حتمًا شاطِئ الْأَمَان.

إنَّهُ قَرِيبٌ.. ولكنّ أَمْثَالِي يَرَونَهُ بَعيد والطّريقُ صَعبٌ وبَليد، والرّوح قَد نالتها أشواكُ المَلَل، وفُقدانُ أمَل، مَا جَعلَها غَير مُكتَرِثة لَا بقَريبٍ وَلَا ببَعيد..

الآمالُ والأحلامُ الباقِيَة مَا زالَت مُعَلَقة عَلَى أحبالِ "رُبما يومًا"

فَرُبما يومًا..

وَكم مِن أحلامٍ مَا زَالَتْ عالِقة عَلَى تِلكَ الْإِحْبَال...

***

تُنْقَل نَظَرُهَا بَيْنَهُمَا هُنَا وَهُنَاكَ، تَرَاهُمَا يصرخان ويلقيان اللَّوْمُ عَلَى بَعْضِهِمْ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُتَّهِم الْآخَر بإهماله فِي تربيتها، ليتحجج الْآخَر بإنشغاله بِالْأَعْمَال..

فَالْيَوْم تَمّ اسْتِدْعَاء كِلَيْهِمَا إِلَى الْمَدْرَسَةِ بِسَبَب اعتدائها عَلَى إِحْدَى الْفَتَيَات بِالضَّرْب بَعْدَ أَنْ نعتها بغريبة الْأَطْوَار والمتوحدة الْحَمْقَاء.

لِيَتَوَقَّف النّقّاش الْحَادّ بَيْن وَالِدَيْهَا وَيُوَجَّهَان نَظَرِهِمَا متفاجئين إِلَيْهَا بَعْدَ صراخها بِصَوْت عالٍ "يكفيي"

"يكفيي"... لتبدأ الدُّمُوع بالترقرق فِي مقلتيها تَضَعُ يَدَيْهَا عَلَى رَأْسِهَا وتبدأ بِتَكْرَار يَكْفِي بِشَكْل مُتَتالِي..

وَعَلَى نَحْو مُفاجِئٌ تَرْفَع رَأْسِهَا مُوَجَّهَة أنظارها الْحَادَّة لَهُمَا، بَعْدَ أَنْ حَاوَلَت أُمّهَا الاقْتِرَاب مِنْهَا.

لِتَقُول بِصَوْت عالٍ يُمَيّز السّامع نَبْرَة الْخِذْلَان وَالْخَيْبَة فِي صَوْتَهَا: إياكِ ولَمْسِي، لتتراجع بِضْع خُطُوَات للوراء وَعُيُونُهَا مُثْبِتَةٌ عَلَى والِديها، "إن حَاوَلَت مَعْرِفَة وَفَهْمُ مَا يَدُور بِدَاخِلِهَا مِنْ مَشَاعِرِ عَنْ طَرِيقِ عَيْنَيْهَا لَكَانَت الْحِيرَة هِي جَوَابَك، لِأَنَّه اخْتِلَاط الْمَشَاعِر لَدَيْهَا كَبِيرٌ فَكَانَت تُشْعِر بالخذلان وَالْحَسْرَة والكسرة، تَعْتِب وَتَلَوُّمٌ،

تَحْزَن وَتُشْعَر باليُتم، لَك أَنْ تُتَصَوَّر مَدَى سُوء الشُّعُورِ أَنْ تُشْعِر بِأَنَّك يَتِيم ع الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ وَالِدَيْك عَلَى قَيْدِ الحياة".

-لماذا أنجبتموني أَن كُنْتُمَا غَيْر قَادِرِينَ عَلَى تَحَمُّلِ مسؤوليتي؟

-هل تعرفان مَنْ أَنَا؟

-هل تعرفان مَا أُحِبُّ وَمَا أَكْرَهُ؟

-هل لَدَيْكُم فَكَرِهَ أَنْ كُنْت بِخَيْرٍ أَمْ لَا؟

-هاااا لِمَا لَا تجيبان...؟ - لَا تملكان الْإِجَابَة هه..

-كل يَوْم أَتَعَرَّض للتنمر فِي الْمَدْرَسَةِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ كُنْت أُحَاوِل إخْبَارٌ أَحَدُكُم أَسْمَع عِبَارَة لَدَيّ بَعُدَ الْإِعْمَالِ عزيزتي مَا إنْ أنهيها سنتحدث.

-وهل لِي أَنْ أَعْرِفَ مَتَى ستنتهي أَعْمَالِكُم اللعينة؟؟

وَمَعَ كُلِّ سُؤالٍ تذرف كمًّا مِنْ الدّمُوعِ فَتَخْتَلِط دُمُوعُهَا بضحكات هستيرية وَهِي تَمْسَح مَجْرَى الدُّمُوع عَن خَدِّهَا

-كل لَيْلَة أَنَام وَهَذِه الدُّمُوع لَا تُفَارِقُنِي.. كُلَّ لَيْلَةٍ أَبْكِي بِسَبَب الظُّلْم الَّذِي تَلَقَّيْتُهُ وَمَازِلْت اتلقاه

-وليس هَذَا فَقَطْ، سأزف لَكُم خبرًا لَقَدْ أَحْبَبْت شابًا، اسْتَطَاع الضَّحِك عَلِيّ بِسَبَب سذاجتي وَقِلَّة فَهْمِي وَعَدَم إدراكي كَم الْعَالِمُ فِي الْخَارِجِ هُوَ سَيِّءُ

لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أبٌ يُخْبِرَنِي وينصحني ويمنعني مِن التَّحَدُّث مَع الْإِغْرَاب أَو لِيُراقِب تصرفاتي وَيَعْدِل أخطائي ويقوِم سُلُوكِي، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أمٌ تُوَجِّهْنِي لِلطَّرِيق الصَّحِيح تعلمني خَبَايَا الْمَشَاعِر وَأَخْبَرَهَا عَمَّا يُحَدِّثُ لِي، لَمْ تَكُونَا مَوْجُودِين لتخبراني أَنَّ هَذَا مَمْنُوعٌ وَهَذَا مَسْمُوحٌ، تعطياني الْمَالِ وَلَا تَعْلَمَان أَيْنَ أَذْهَبُ بِهِ، هَلْ لَكُمْ فَكَرِه إنَّنِي تَعَرَّضَت للتحرش وللسرقة وَمُحَاوَلَة فِي جَعْلِيٌّ مدمنة مُخَدَّرَاتٌ!!!

كلاااا وَكَيْف لَكُمْ أَنْ تعرفا وَأَنْتُمَا منغمسين كلٌ فِي حَيَاتِهِ وَعَمَلِه يُسَبِّح.

وَكُلَّمَا حَاوَل أَحَدٌ وَالِدَيْهَا الأقْتِرَاب تَصْرُخ بِصَوْت عالٍ "إبتعدوا"

وَحَالَتِهَا تَزْدَاد سوءً ثَانِيَة تِلْوَ الأُخْرَى

-لمااااذا يُحَدِّثُ هَذَا مَعِي؟؟ لمااذاا...

بَدَأَت خطواتها تَهْتَزّ وَبَيْن أَجْزَاءٍ مِنْ الثَّانِيَةِ تَلَقَّتْهَا الْأَرْض، فَرُبَّمَا أَشْفَقَت الْأَرْضِ عَلَيْهَا وَعَلَى مَا مَرَّتْ بِهِ وَقُرِرْت اِمْتِصَاص تَعَبِهَا ورحمها مِمَّا تعيشه، فأحتضنتها لِتَقَع ضَحِيَّة أُخْرَى للاكتئاب فِي

أَحْضان الأَرْضُ الوَاسِعَةُ، ونهوضها مُجَدَّدًا يُعْتَمَدُ عَلَى حِدَةٍ مَا مَرَّتْ بِهِ...

وَهَذَا حَالُ الكثيرات، مِن يَتَعَرَّضُون لِلْإِهْمَال وَالْعُنْف والتنمر وَالْخِذْلَان وَغَيْرِهَا الْكَثِيرِ مِنْ الْمَوَاقِف وَالْأَحْدَاث الَّتِي تُجْعَلُ الكثيرات يصارعن كُلُّ ذَلِكَ وَحْدَهُم فِي عَالَمِ يسوده الْوَحْشِيَّة وَالْقَسْوَة وَقُلُوب خَالِيَةً مِنْ الرَّحْمَةِ...

وَلَكِنْ مِنْ يَكْتَرِث..!

الإهداء

أهْدِيَ هَذَا الْكِتَابِ لِكُلّ عَابِر بَعِيدًا كُنْتَ أَوْ قَرِيبٌ

لِكُلّ شَخْصٍ كَانَ سَيِّء أَم جَيِّد، لِكُلّ مِنْ تَرَكَ أَثَرًا فِي نَفْسِي وَعَلَّمَنِي دَرْسًا فِي مَدْرَسَةِ الْحَيَاة

لِكُلّ مِنْ سَاهَمَ فِي إيضَاحِ حَقِيقَةِ الْعَالِم وَمَرَارَة الْوَاقِع لِي

لِكُلّ مِنْ يُحَاوِلُ إيقافي فيفشل إمَام اصراري

لِكُلّ مِنْ حَاوَلَ لَمَس طَرِيق النَّجَاح وَمَا زَالَ يُحَاوِل.

الباب الثاني والعشرون

نيفين محمد عاروري

لَا مرحبًا

حِينَمَا تَنْتَهِي مِن تمتعك فِي عدوتي اللعينة الَّتِي كُنْتَ قَاصِد وَمَع سَبَق الْإِصْرَار والترصد مناكفتي فِيهَا ستعي مَاذَا فُقِدَت وستعود باحثاً عَن اضلعي الَّتِي لَمْ تخذلك وَلَو لمرة.

حِينَمَا تألفك الْوَحْدَة وَتَذْهَل مِن تَرَاكَم أَعْوَاد السجائر بِجَانِبِك ستعي حقاً غَضَبِي وحرصي وسؤالي الْمُتَكَرِّر لَك (كم بَكَيْت دخنت الْيَوْم؟)

وستعود ذاكرتك بِك لِيَدَي وَهِي تنتشل عُلْبَة السجائر مِنْ يَدِك وتخبأها، وَلِسَانٌ حَالِي يَقُول (بكفي دُخَان اليوم).

حِينَمَا تحدثك هِي بِكُلّ هُدُوء وَمَلَل ستعي جُنُونِي وكلماتي العفوية وَالَّتِي كَانَت لِأَجْلِك.

حِينَمَا تغفو هِيَ قَبْلَ إِخْبَارِك، ستتذكرني وبحة صَوْتِي ونبرته تَحْتَ تَأْثِيرِ النَّوْم، كَيْفَ كُنْتَ لَا أُطِيقُ النَّوْمِ إِلَّا عَلَى نَغْمَة احاديثك.

حِينَمَا تدعوك عَلَى عِشَاءٍ تَقْلِيدِي لَا رُوحَ فِيهِ، ستعيدك ذاكرتك إِلَى قَائِمَةٌ طَعَامِي الْمُفضل إِلَى رَائِحَة الطَّهْي فِي مطبخي إِلَى حَفْل الشِّوَاء فِي بَيْتِنَا إِلَى الْمُوسِيقَى وَالرَّقْص وَلِيّ أَنَا.

حِينَمَا تُخْفِي عَنْك تَفَاصِيلَ كَثِيرَةٍ ستدرك حِينهَا مَاذَا كَانَت تَعْنِي أَحَادِيثِي الْمُمِلَّة والسخيفة بِالنِّسْبَة لَك.

حِينَمَا توبخها وتصفعها تَحْتَ تَأْثِيرِ الْغَضَب وتُدِير ظَهْرِهَا دُون التِّفافَة وَاحِدَة سيأكلك النَّدَم وَعَقْلُك يَسْتَرْجِع كَيْف صفعتني بِكُلِّ مَا تَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ واخدت أُجْرِي نَحْوَك وَبَكَيْت بَيْن يَدَاك كطفلة لَا مَلَاذٌ لَهَا غَيْرِك.

حِينَمَا تتفاخر هِي بالباهض مِنْ هَذَا وَذَاكَ وَعِنْدَمَا لَا يَعْنِي لَهَا مرورك بِأَزْمَة مَالِيَّة حِينهَا فَقَط ستأخدك قدماك إِلَى حافَّةِ الطَّرِيقِ وَأَنْت تنتشل كُوب مِن الشَّاي بَيْن يَدَاك ستجلس عَلَى رصيفنا وتتوهمني كَيْفَ كَانَ هَذَا الْمَكَانِ مُقْرِئ الْمُفضل، كَيْفَ كَانَ الشَّاي الْأَفْضَل لَدَيّ، كَيْف تَتَحَوَّل الْبَسَاطَة إِلَى الأرق لِأَنَّهَا مَعَك، كَيْف أَن الْأَسَى مَا عَادَ يَنْفَع.

حِينَمَا تَحَبَّك هِي كَبَقِيَّة الْإِنَاث ستبحث عَن قَلْبي الَّذِي أُحِبُّك كَمَا لَمْ يُحب أَحَدٌ مِنْ قِبَلِ، لَمْ يَكُنْ حُبّ وَكَفَى.

حِينَمَا لَا تَعْنِي لَهَا نظراتك لعابرات الطَّرِيق حِينَمَا لَا تَكُنْ الْغَيْرَة فِي قَامُوسٌ حَبُّهَا، سيحزن قلباً شوقاً لغيرتي الجنونية.

ستعود

ستحاول الدُّخُولِ مِنْ النَّافِذَةِ عِنْدَمَا تَجِد الْبَاب مُحْكَم الْإِغْلَاق،

سأحاول تقبلك مِنْ جَدِيدٍ

وَقَلْبِي لَنْ يَقْبَلَ، لَن يَرْأَف، لَن يَخْضَع

سأرضخ لِقَلْبِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ايضاً

وَقَلْبِي هُنَا سَيَكُون الْعَقْل وَالْقَلْب معاً، لَن احْتَاجَ إِلَى

اسْتِعْمَال عَقْلِيٌّ كَمَا طَلَبَت أَنْتِ ذَاتُ مَرّةٍ،

سأبقى امْرَأَة الْقَلْب، الْقَلْبِ فَقَطْ وَلَن أَعُود.

لَا مرحباً، عِنْد انتهائك مِنْ التَّلَذُّذِ بِهَا، لَا جَدْوَى مِنَ النَّدَمِ وَلِلَّه لَن اغْفِر.

أُريدك

تَقُولُهَا عَلَى الدَّوَامِ

أَعْرِف إِنَّك تَكَذَّب

سترحل

أَعْرِف جيداً إِنَّك ستذهب بِلَا عَوْدِه ذَاتَ يَوْمٍ

وَمَعَ ذَلِكَ لَا أَكُفَّ عَنْ كَوْنِك ملاذي، سترحل دُون التِّفافَة وَاحِدَة وَأَنَا هُنَا عَلَى أَمَلِ بِأَنْ لَا تَرْحَلْ أَنْ تَبْقَى.

تَقُول أُحِبُّك،

وَتَتَصَرَّف بِلَا حُبٍّ

تَقُول انتِ الاجمل،

وَتَبْحَث عَن أُخرى

تَقُول اشْتَقْت لكِ،

وَلَا تَكُفُّ عَنْ التَّفْكِير بِالرَّحِيل

تَقُول تحدثي أَحَبّ صَوْتَك

وَفِي مُنْتَصَف الْحَدِيث تَضَعَ يَدَكَ عَلَى فَمِي وَتَقُول: هششششش

لَمْ تَكُنْ رَغْبَتِي يوماً أَن تحبني بِقَدْرِ مَا احببتك كَانَتْ كُلُّ الرَّغْبَة الِاطْمِئْنَان أُرِيدُه حقاً أَن أَطْمَئِن.. أَطْمَئِن فَقَط.

كُنْت مِنْ فَرَّطَ خيبتي أَضْحَك بهستيرية واتحدث بِبَلاغَة، أَي خَيْبَة كَانَتْ تِلْكَ؟

أَحْبَبْته كَمَا لَمْ أُحِبَّ أَحَدٌ مِنْ قِبَلِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُحِبَّ سِوَى مَا ظَهَرَ مِنِّي.

فَضَّلْتَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ لَكِنَّهُ لَمْ يُلَاحِظْ

أَرَدْته دهراً بِأَكْمَلِه.. وَلَم يَرُدّنِي إلَّا أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ.

فَرَّط بِي وَكَانَ بَيْنَنَا ثَار قَدِيمٌ

خذلني كَمَا لَوْ إنَّنِي أَحَدٌ عَابِرِي الطَّرِيق

أَوْجَعَنِي وكأنني أَحَدٌ أَعْدَاءَه.

لَوْ أَنَّك لَمْ تَفْعَلْ!

وَلَكِنَّك فَعَلْت

وأهملت خَلْفَك جُثَّة هَامِدَة لِبَقِيَّة الْعُمْر تعاني مِنْ خِذْلَانِ جَمِيعُ مَنْ حَوْلِهَا وَلَن تتجرأ يوماً عَلَى الاقْتِرَاب وَمُحَاوَلَة الْعَيْش بِسَلَام.

بدايتنا الَّتِي انْتَهَتْ، الْحَبُّ الَّذِي كَانَ وَهَدْم، الْخِذْلَان الَّذِي لَمْ نتوقعه يوماً، أَنْتَ وَأَنَا وَكُلُّ مَا حَوْلَنَا

كُلُّ هَذَا أَنْتَ فَاعِلُهُ.

لَن أَنْسَى

كَيْفَ كَانَ انهياري مَشْهَد مُمْتِع بِالنِّسْبَة لَك

كَيْفَ كَانَ اِنْهِزامِي مكسبك الثَّمِين

كَيْفَ كَانَتْ دُمُوعِي نبيذك الْمُفَضَّل

تَقُول مُفضلتي: (طب أَقُولُ يَا مفرحني وَلَا اقلك يَا جارحني معلش حَبِيبِي سامحني نستني أَنَا أَبْقَى مَيْن) لَم اتنبأ يوماً أَن الْفَرَح اللاَّمُتَنَاهِي مِنْك سيصبح ذَاتَ يَوْمٍ جُرْح بَلِيغٌ لَن يُشْفَى، لَن تَوَقَّف خيوطك بمتانتها فَيَضَان نزيفه، وَلَا بْن الْعَالِم بِأَكْمَلِه سيجدي، يَا لسذاجتك أَمِثْلِي تُخان!!

إِلَى خائني السَّاذَج: لَا أَمْلِكُ الْمَوْهِبَة الْكَافِيَة وَلَا أَكْتُبُ بإحترافية وَلَكِنْ لَمْ أَكُنْ لِأَكْتُب لَوْلَا جُرْحِك لِذَا فاهدائي هُنَا لَك أَنْتَ فَقَط.

الباب الثالث والعشرون

هديل محمد سرحان

قُلْتُ بإنَّنِي لَنْ أَعُود وعدتُ، قَدَمِي انْدَفَعَت بِشَكْل شَرِس بَل قَلْبِي، لَمْ ينزلق مِنِّي شَيْئًا اندفعتُ بِكَامِل قُوَاي الْقَلْبِيَّة لَا الْعَقْلِيَّةِ حَيْثُ باتَ حُزْنِي وغضبي مِن شدةِ الِانْدِفَاع لك النُّدْبَة فِي جوفِ أَيَّامِي.

إِنَّنِي لَا اتجزأ اطلاقاً حَتَّى باندفاعي كَانَ دَفْعُهُ وَاحِدَةً لكَ الصاعَقة، لَمْ أرْضَ بِأن أَكَوْن جُزْء حَتَّى، أَنَا الْحَلْقَة بِكامِلِهَا لَا أتقطع إلى أنصافِ حَتَّى وإن كُنْتُ مُفْرَغَة، أَصِف نَفْسِي بالسيء عَلَى أَنِّي لَا أرْضَ بِالتَّجْزِئَة وَإن كنتُ سَيِّئًا عَلَى نَفْسِي، عَلَيْكُم، عَلَيْهِم.. لَا أعْلم بَعْد.

أَنَّنِي فِي المنتصفِ الضيقْ الْوَاسِع، أقفُ تائهاً وَأَنَا أعْلمُ طَرِيق الْعَوْدَة، أقفُ أرتجفُ أغلقُ عَيْنَاي خوفاً مِن الطريقِ، أجلسُ اهدأُ قَلِيلًا أَنظُر إلَيْهِ رَغْبَةٌ بِالْوُصُولِ إلَيْهِ،

وَمَع تلكَ الحيرةِ أَحْتَسِي كوباً مِن النسكافيهِ لِعلّها تَدفعني خُطْوَة وَاحِدَة لِلْإِمَامِ، أَرَانِي أقفُ مِن جديدِ أغلقُ عَيْنَاي وأحتسي لَا أودْ مَرَارَة الطَّرِيق تَخَدَّش حَلَاوَة النسكافيه، إِنَّنِي أُناجي كُوب النسكافيه!..

مَنْ وضعني هُنا؟..

كنتُ أركض للأمامِ بسرعةِ مَهُولَة وَكَذَلِك للخلفِ بِذَات السرعةِ، لمْ أرضَ بالتوقفِ بتاتاً حَتَّى لأحتسي لأستلقي لأعودَ بِانْدِفَاع أَقْوَى مِمَّا سَبَقَ، كنتُ أركض وَلَا أعْلمُ مِن أيْن الطَّاقَة تَتَجَدَّدُ فِي جَوْفِي..

كنتُ أركض بِانْدِفَاع بَاهِر..

أركض وَأَنَا منهكاً..

أركض وَأَنَا كُلِّيٌّ يَقِين تَامٌّ مِنْ عدمِ الوصولِ..

أركض وَأَنَا أعْلم إنّي سأعودْ هشة..

أركض وَأَنَا بِكَامِل نقصاني..

أركض لِلنِّهَايَة الَّتِي لمْ أجْهلها..

كَانَ الطَّرِيقُ يَشِع نُورٌ.. اِنْطفأ الضَّوْء الْأَوَّل، أَكْمَلْت الْمُوَاجَهَة مَازَال الطَّرِيق يَشِع نوراً!!

مَازَال انْدِفَاعِيّ يَزْدَاد وَيَزْدَاد وَفِي لحظهِ الِازْدِيَاد تِلْك انطفاءات جَمِيع الأَضْوَاء المتبقية دَفْعَةً وَاحِدَةً كَ انْدِفَاعِيّ اللّعين..

وقفتُ أنْظر للظلمةِ وأعاتبها قليلاً وتقتلني كُلَّمَا إزدت فِي الْعِتَاب، تَقْتُلْنِي هِي وَأَنَا أُكمل الْمَسِير إلَيْهَا بِ اندفاعِ ك السَّابِق..

أَظُنُّ أَنَّ الأَضْوَاء خذلتني بَل نَفْسِي، بَل الطَّرِيق ذَاتِه!..

أُشاهد نَفْسِي تَتَلاشى مِنِّي..

كَأَنِّي لمْ أَكُن مِنِّي..

تَتَلاشى وَأَكْمَل الْمَسِير، أُكْمل لَا أدْري إِلَى أَيْنَ،

مَا عدتْ أركض مَا عادَ انْدِفَاعِيّ ك السَّابِق..

أَسِير بِبُطْء كَأَنِّي أعْلم إِنَّنِي أنْتَمي إِلَى هُنَاكَ، إِلَى الظَلَامِ..

رأيتُ الظَّلَامِ فِي بدايةِ الطريقِ وغامرتْ فِي المواجهةِ..

غامرتْ بفقدان نَفْسِي..

غامرتْ لأَتَلاشى..

نَعَم إِنَّنِي أُحارب نَفْسِي..

ظهرتْ نَتِيجَة الْحَرْبِ مَعَ أَوَّلِ اِنْطِفاء للضوءِ وتجاهلت النَّتِيجَة..

بِكَامِل قُوَاي العقلية لا القلبية أعْلن خسارتي أَمَامَ نَفْسِي..

إنّها حَرْب دُون دِماء، فَقَط قَتْلى..

حَتى خسارتي كانتْ بِ انْدِفَاع لمْ تَتَجَزَّأ،

سَقْطتُ دَفْعَةً وَاحِدَةً..

كَان يَجِبُ عَلِيّ أَن أَسْتَلْقِي وأحتسي الكوب حِين اِنْطِفاء الضَّوْء الْأَوَّلِ مِنْ الطريقِ وأعود إلَى مَا كُنْت عَلَيْهِ سابقاً قَبْل وُصُولِي إلَيْه..

كَان الِانْطِفَاء الْأَوَّل بِمَثَابَة وَخْزَةٌ لِأَعُود، لِإِنْقَاذ مَا تَبَقَّى مِنِّي..

رَفَضَت حَتَّى إنْقاذي..

أَظُنّ يَا أَعِزَّاء إنَّنِي أحْببتُ الْمُكُوث فِي المنتصفِ هَذَا، بدتُ أشْعرُ إنَّنِي انْتَمِي إلَيْه وَبَاتَت مشاعري تنطفئ تدريجياً كُلَّمَا أحْبَبتُ الْمُكُوثُ فِيهِ إلَى لَحْظَةٍ فُقِدَتْ فِيهَا جَمِيعُ مشاعري وإندفاعاتي دَفْعَةً وَاحِدَةً..

لِمَاذَا يجبُ عَلَيَّ الْخُرُوجِ مِنْهُ؟ هَل ستعود الأضواءِ؟

لَا بَأْسَ سَيَأْتِي عَامِلٌ الكَهْرَباء ويشعلها مِنْ جَدِيدٍ..

دفعتُ ثَمَن اِنْطِفاء الطَّرِيق بِ إنطفائي..

دفعتُ ثَمَن الْخَسَارَة بِخَسَارَة أُخْرَى!..

أجْلسُ بالقربِ مِنِّي وَكَأَنِّي شَخْصَيْن لهُما ظِلّ وَاحِد..

توقفتُ عَنْ الْمَسِيرِ بِشَكْل كَامِل وَهَا أَنَا أقفُ أُناجي نَفْسِيَ الَّتِي تَلاَشَت وتبعثرت عَلَى جوانبِ الطَّرِيق، أجْمعها مِنْ جَدِيدٍ..

وجدتُ حَيَاة أُخرى فِي الظلمةِ بَلْ إنْ تلكَ الْحَيَاةُ هِيَ مِنْ وجدتني، غامرتُ إلَيْهَا وغامرتْ إليّ فَلَا لومٍ عَلَى نَفْسِي وَلَا عَليها..

وجدتُ فيني شَخْصَيْن:

شخصٌ لَا يطيقني يودْ الْخُرُوج مِنّي، كَأَنَّنِي وضعتهُ فيني رغماً عَنْه، لَا يَعْلَمُ أنّ الطَّرِيق ذَلِكَ مِنْ وضعهُ أَمَامِي..

وشخصٌ مِن شدةِ ظلمتي مَازَال متمسكاً بِيَدِي إلَّا أَنْ أحْترقت يديهِ وأصْبح متمسكاً بقلبهِ الهَش..

أُود الْخُرُوج مِنّي..

لَا أطْيق قَلْبِي..

مَا عدتُ قريباً مِنْ أَحَدِ، حَتَّى نَفْسِي..

مَا أَبْعَدَ نَفْسِي عَنْ نَفْسِي..

الْفِقْدَان ليسَ مَرَض، إنَّمَا فُطِرنا عَلَيْه!..

عاودتُ مواجهتي مِنْ جَدِيدٍ، لَا أقْبل أَنْ يَتَلَاشَى مَا تَبَقَّى مِنّي..

توقفتْ بِمَا يَجِبُ عَلَيَّ أَن أقفْ، لِأَجْمَع أمتعتي وأُغادر مَكَان لمْ يعدْ لِي..

لِمَكَان لمْ يُشْبِهُنِي إطلاقاً..

جمعتُ حُطامي وحُطامِ الطريقِ عَلَى كتفيَّ المُنهك..

وعدتُ أَدْرَاجِي..

حِين عودتي أشْتعلَ الضَّوْء فِي دَاخِلِيّ، أظْن أَنَّ عَامِلَ الكَهْرَباء لمْ يُخْطئ بالوجهة ليَقُم بالإصلاحِ..

وبقيتْ أَضْوَاء الطريقِ مُحْترقة إلَى مَا لَا نِهَايَةَ..

مُحْترقة لِحِين إشْعار آخَر..

أَنَّ الْخَسَارَةَ الْحَقِيقِيَّةُ هِيَ الْمَكْسَب،

كَسْبتُ مَا تَبَقَّى مِنِّي وَالطَّرِيق هُو مَنْ خسرني..

لمْ أعدْ زَائِرِه عَلَى ذلكَ الطَّرِيق أحْتسي الكوب..

كُلّ مَنْ يَقطن هُنَاك مُر وَشَدِيد السوادِ..

أشْعَلَ نَفْسهِ بنفسهِ وأصْبَح غَنِيٌّ عَن جميعِ الأضواءِ..

أصْبحت جَمِيع الأضواءِ عَلَى الطرقاتِ تُنَاجيه..

باتَ ضَوْء قلبهَ يَحْرِقُ كُلّ مَنْ يَمُر وسَيَّمُر..

وأحْرقَ الطَّرِيق أيْضاً..

أحْرَقَ الْجَمِيع ليُشْتعل..

أحْرقَ حَتَّى نفسهِ الَّتِي تخلتْ عنهُ..

أضاءَ نفسهِ وَتَخَلَّى عَنْ الطَّرِيقِ وَالأَضْوَاء..

تَبْقَى لِما يَجِبُ أَن تَبْقَى عليهِ..

أحْرقَ نفسهِ ليُشْتعل مِنْ جَدِيدٍ..

إنَّه يَتَمسك بِمَا تَبْقَى منهُ،

إلَى حينَ لمْ يَتَبَقَّى شَيْئًا مِنْهُ يَسْتَوجب النَّجَاة..

أودُ إخْباركم أنّ عَامِلٌ الكَهْرَباء مَنّ قامَ بِالْكِتَابَة...

الْإِهْدَاء

إِلَى مَن أَرَى الْجَنَّةَ مِنْ خِلَالِهَا (أُمي الغالية)

مَن فَنَى وَمَازَال يُفْنِي عُمرهِ ليجعلني عَظِيمَةٌ (أبي الموقر)

مَن يَجْعَل حُزْنِي فُتاتاً (أَخِي العزيز)

مَن جَلْساتُها تَطِيب الْخَاطِر (زوجة أخي)

مَن مَا زال يُقاوم وَلَا يَأْبَى بالتلاشي (لِنَفْسِي).

الباب الرابع والعشرون

وفاء هيثم ناصر

وكَعادتي...

ذهبتُ إلَى سَرِيرِي باكِرًا فِي سبيلِ النَّوْم

اختبأْتُ الْيَوْم أيضًا وَأَنَا بحاجةٍ لِمَن يَجِدْنِي

هَا قَدْ انْتَهَى يومٌ آخَر

يومٌ مليءٌ بالحُزن والضجيجِ وَالْقَلَق

يومٌ آخَر متعبٌ مرهقٌ مَأْساوِي

عَلَى مَا يَبْدُو أنَ اللَّيْلَة ستكونُ أصعَب أيضًا

حسنًا سأعترف هَذِهِ الْمَرَّةِ، لَن أقولَ إنَّنِي بِخَيْر، بَل أقولُها وَقَلْبِي ينزفُ جِراحًا لَا تُخاط: أَنَا مُرهقةٌ مشتّتَةٌ تائهةٌ فِي أيّامي الحزينة

سأبكي مُجددًا وتنتفخ عَيْنَاي

وَالْآن وبعدَما يئستُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

تناقُضي عَجِيبٌ

فِي كُلِّ ثانيةٍ مِزَاج

فَقَط أريدُ أَنْ أَصْبَحَ عَلِيٍّ خَيْرُ

فَقَط سأدعو اللَّهُ أَنْ يُطفئ نِيرَان قَلْبِي.

وسأعيدُها وأُكرّر " لَم ولَن يكونَ الفقدُ يومًا هيّنًا عَلَى أيّ مخلوقٍ فِي هَذِهِ الدُّنيا ".

مِن هوَ الشّخصُ الّذي يمتلك قلبًا قادِرًا عَلَى تحمّل هَذِه الْمَآسَاة، كَيْف يتقبّل المرءُ رحيلَ شخصٍ كانَ لهُ الحياةَ وَما فِيهَا، المرءُ يتعبُ أَن غابَ شخصْ يحبّه عنهُ لثانيَة وَاحِدَة، فتخيّل كَيْفَ يَقْضِي أيّامه رغمًا عَنْه مُتنغّصًا مُردّدًا اسْم فقيدَ قلبِه فِي كُل لحظةٍ مِن أيّامه.

كُل مكانٍ تتدفّقُ بِهِ رَائِحَةُ فقيدِه الّتي تشبهُ الجنّة، يَراهُ فِي كُل شَيْءٌ، حتّى فِي ابتسامةٍ سمِعَها وَهُوَ فِي طريقِه إلَى الْبَيْتِ فالتفّ تحسّرًا لسماعِ صوتِه حَتَّى لَوْ كَانَ شخصٍ آخَر، ينظرُ إلَى أيّامه الْجَمِيلَة مُتألّمًا ينتظرُ فَقَيَّد رُوحِه فأيُّ لذةٍ للأيّام هَذِه؟ فاجِعةُ الموتِ لَا دواءَ لَهَا، هيَ فَقَط تألّمٌ وأَنين، توجّعٌ وحَنين، ليسَ لَهَا مواساةٌ إلّا أَنَّه فراقٌ مُؤقتٌ لدُنيا فانِية، وأنّ اللهَ أعدّ لِلصَّابِرِين ثوابٌ عَظِيمٌ.

اللهُمّ ارحَم أمواتنا وَأَمْوَات المُسلمين، اللهُم ارْحَمْ مَنْ فارقَنا وذِكراهُ بالقلبِ لَا تُنسى، واجمَعْنا بِهِمْ فِي جنّةٍ لَا فُراق بَعْدَهَا.

يَا ربّ لَيْس اعتراضًا عَلَى قدرِك ولكنّنا اشتَقنا، يَا ربّ أَنَا مُطمئنٌ لأنّ فقيدي عندَك ولكنّني افتقدتُه كثيرًا..

الاهداء

إلى أُمّي الحبيبة سُعاد وأبي الغالي هيثم - حفظَهما الله –.

إلى إخوتي الّذين يمنحونني النورَ والحُب.

إلى مُعلمتي أماني الّتي كانَت قدوةً لي في كُل أموري، وجعلتني أحبُّ هذهِ اللُغة بكل تفاصيلِها.

إلى كُل من دعمَني يومًا عندما تعثرتُ في طريقي المليء بالأشواك، إلى كُل روحٍ كالغيمة مرّت ولا ضرّت!

الباب الخامس والعشرون

لـ كاتب مجهول

كيف أصف ما أمرُّ به؟ فترة صعبة؟ ظروف سيئة؟ حالة مزاجية عكرة!؟ لا أعلم! ولكنّه ليس الإكتئاب.

فالإكتئاب بريء من كل من ينعت نفسه به، فهو أكبر وأبلغ من مجرد حالة نفسية سيئة تصيبك، فما أن يتعرض أحدكم لخذلان أو خيانة أو انتكاسة ما، ويبدأ صراعه مع نفسه في دوامة الحزن، يسارع بإطلاق لقب المكتئب على نفسه.

ولكن كما ذكرت سابقا الإكتئاب هو حالة شعورية أخطر بكثير.. لست هنا لأشخص هذه الحالة المرضية، إن كنت تودُّ الاضطلاع عنها أكثر، بإمكانك قراءة كل ما يخصها في الويكيبيديا.

ربما ولأول مرّة سيقرأ أحدهم ما تخطّه أناملي من خربشات تدور في رأسي فكنت وما زلت أكتب لنفسي، وأنتظر ذلك اليوم الذي أحرق فيه كل ما كتبته يوما..

لن أطيل عليك عزيزي القارئ فربما الفضول يساورك عن قصتي، وربما لا..

لكنني سأسردها على أيّ حال.

هل أبدأ بأخبارك عما كنت عليه قبل عام؟ أم عن ماهيتي الآن؟ تتسائل.. وهل فقط هو عام الفارق بين الأنا القديمة والجديدة؟ نعم، هذا العام الذي بدأت فيه علاقاتي على مواقع التواصل

تتوسع بشكل كبير، كنت تلك الفتاة التي تنبع منها الايجابية والتفاؤل تنتقل هنا وهناك، كالوردة يتطاير رحيقها على كل عابر سبيل..

كنت بيت أسرار لكثير من صديقاتي، فكنت خير من يسمعهم في أفراحهم ومشاكلهم التي كنت دوما ما أُسارع على إيجاد الحلول إن أمكن، والتهوين قدر المستطاع.

كنت يوما بعد يوم أذبل واللامبالاة أصبحت من أكبر صفاتي، فقدت الرغبة في كثير من أحلامي التي كنت أسعى لها جاهدة فيما سبق..

مررت بتجارب ومواقف جعلتني أكبر أعواما كثيرة في ايام معدودة..

سأتحدث عنه..

ربما يمر الكتاب بين يديك صدفةً، وتقرأ ما كتبت وربما تدرك حجم ما أجرمت بحقي..

لحين هذا اللحظة لم أستطع وصف علاقتنا، لقد كنت أغرب العابرين وأثرك الذي خلفك كان كبير، كنت دوما تكرر رغبتك في الذهاب والغياب.. ولكنك ما تنفك تعود.

كنت متمسكة بك جدا ع الرغم من الاختلافات الكبيرة بيننا، إلا أنها الروح وما آلفت له..

قلت لي آخر مرة أنك ستغيب لفترة طويلة، أرهقني هذه الغيابات المستمرة، في كل مرةٍ أزداد لامبالاة، فقدت الرغبة والقدرة على الطلب منك للبقاء

اذهب! فما عادت الروح ترفرف لذكراك..

وماذا عنها؟ هي من فضلتها على الجميع، من كسرت الكثير من مبادئي من أجل بقائها! أتراها ملّت؟

أذكر أني أخبرتها يوما أنني سأبقى معها دائما، ولكن دعيني أخبرك أنني قد اختفي في أي لحظة.

لم البرود والجفاء من اللذين نقدم لهم كل ما نملك؟ ما الذنب الي أرتكبته لأستحق ما نلت؟

أتذكر قولها بأنها تقدّس الوعود، ها أنتِ تخالفين أكبر مبادئك بنقضك للعهد وذهابك من غير أي مبرر، وإعذريني بوصف موقفك بالجُبن.

اتعلمين...

لا أريد أيّ إجابات، لقد سئمت.

مازال محيطي يبث في أعماقي السلبية بأنواعها، لم أعد أرغب بالتخفيف عن أحد، أو الأستماع لهموم أحد..

فكلنا في همومنا ومصائبنا نسبح، دعوني وشأني! لقد وصلت الرّوح لأوْجِ المراحل من الأرهاق، حقاً أرغب بقضاء الوقت مع نفسي، فيكفيني ما أمرُّ به من ضغوطات دراسية وأرق بسبب التوتر الذي يسببه لي قرب الأختبارات، فكما قال الشاعر العظيم:

أَرَقٌ على أَرَقٍ ومِثليَ يأرَقُ وَجَوىً يَزيدُ وعَبرَةٌ تَتَرَقرق

جُهدٌ الصَبابَةِ أن تَكون كما أرى عَينٌ مُسَهّدَةٌ وَقلبٌ يَخفِقُ

هل يعلم أحدكم ما السبيل للبكاء؟ كيف أبلل أرض وجهي الجافة من الدموع؟

امشي ي في الطريق، جسد بلا روح، عيون خاوية تنظر للأفق البعيد، قلب مرهق دقاته بطيئة جدًا يكاد يظن السّامع أنها على وشك التوقف، إبتسامة باهتة تكاد لا ترى..

أعيدوا لي رغبتي في الحياة..

لن أسامح كل من ساهم في إيصالي لهذه المرحلة، المرحلة والتي أشعر أنها هي الإكتئاب.

أُهدي هذا الكتاب لنفسي التي كانت وما زالت تتحمل كل ما مرَّ وما سيمر..

لنفسي التي مازالت صامدة رغم ما حل بها..

لنفسي التي ما زالت تسعى لتحافظ على حيويتها التي تفقدها يوما بعد يوم..

ولك أنت أيها الصّامد أمام كل تلك الأمواج تصارع وتواجه، ومازلت ثابت القدمين ع أرضٍ متعرجة تشدك للقاع، أرثيك لفقدك شغف الحياة وأنت حي وأعزيك بوفاة الروح فيك.. أحر التعازي والتهنئة موجهة إليك.

الخاتمة

في نِهَايَةُ كتاب "سكان الْقَائِمَة السوداء" الرائِع ل " مَجْمُوعِه كُتاب صاعدين"

خَتَم "الكُتاب" حَيَاتِهِم الرَّائِعَة بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ:

"الموت لَيْس شيئاً.. الشَّيْء الرهيب هُوَ أَنْ لَا نَعيش! "

الفهرس

المقدمة ٥
الباب الأول ٧
الباب الثاني ١٣
الباب الثالث ٢٥
الباب الرابع ٣٣
الباب الخامس ٤٦
الباب السادس ٥٣
الباب السابع ٥٨
الباب الثامن ٦٤
الباب التاسع ٦٩
الباب العاشر ٧٤
الباب الحادي عشر ٧٨
الباب الثاني عشر ٨٦
الباب الثالث عشر ٩٠

الباب الرابع عشر ٩٨
الباب الخامس عشر ١٠٢
الباب السادس عشر ١٠٦
الباب السابع عشر ١١٨
الباب الثامن عشر ١٢٤
الباب التاسع عشر ١٢٩
الباب العشرون ١٣٤
الباب الحادي العشرون ١٣٧
الباب الواحد والعشرون ١٤٢
الباب الثاني والعشرون ١٥١
الباب الثالث والعشرون ١٥٨
الباب الخامس والعشرون ١٧١
الخاتمة ١٧٧
الفهرس ١٧٨